جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات – القاهرة
قسم العقيدة والفلسفة

مبادئ الفلسفة

دكتورة
منال سمير الرافعي
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الهدى والنور وعلى آله وصحبه الى يوم الدين.

وبعد...

هذه دراسات فى الفلسفة العامة تهدف الى تقديم فكرة عامة وشاملة للفكر الفلسفى فى أهم جوانبه، فهى نظرة عامة للفلسفة دون أن نتعرض لبحث عميق لمشكلاتها أو لتاريخ مذاهبها.

فهذه دراسة أولية للفلسفة نستعرض فيها بعض المقدمات التى لاغنى عنها لكى تكون كمدخل أو تمهيد للبادئين فى دراسة الفلسفة حتى يكون لديهم الأساس الذى يساعدهم فى السنوات الدراسية التالية على فهم ودراسة الفلسفة فى عصورها المختلفة.

ودراسة الفلسفة هى دراسة لتاريخ الفكر الانسانى فى نشأته وتطوره وكيف ظهرت الفكرة الفلسفية وماهو مظهرها، وماهى علة ظهورها.

فتاريخ الفلسفة هو سجل للحياة الانسانية ودراسته ذات شأن كبير فى إقامة الحياة الانسانية كلها ولايمكن أن نفهم الحياة الانسانية بدون تفهم هذا التاريخ.

وهذه الدراسة تشمل التعريف بالفلسفة فى مراحلها المختلفة وبيان سماتها فى كل مرحلة وتحديد موضوعيا فى العصور المختلفة، كما تشمل

علاقـة الفلسـفة بغيرهـا مـن المجـالات وبوجـه خـاص علاقتهـا بـالعلم وبـالدين وبتاريخ الفلسفة، ونخلص من هذه الدراسة إلــى بيـان دور الإسـلام فـى تطـور الفكر الفلسفى.

وأخيراً سنعرض المشكلات الرئيسية للفلسفة حيث نتناول بـالتفصيل الحديث عن الميادين الأساسية للبحث الفلسفى التى يمكن تحديدها فـى مباحث ثلاثة رئيسية:-

أولا: مبحث الوجود: أو ما يسمى بالانطولوجيا، وهو يبحث فى طبيعة الوجود وحقيقته وخصائصه العامة.

ثانيا: مبحث المعرفة: أو ما يعرف بالابستمولوجيا، وهى تدرس المعرفـة الإنسانية بصفة عامة وحدوها، والعلم الانسانى بصفة عامة من حيث شروط الصواب والخطأ فيه، أو الطرق المؤدية الى إكتساب المعرفة.

ثالثا: مبحث القيم: ويسمى بالاكسيولوجيا، وتبحث فى ماهية القيم (الحق، الخير، الجمال) وحقيقتها ودلالتها وهى تشتمل على دراسة الأخلاق أى البحث فى المثل العليا أو المعايير التى يقاس بها السلوك الانسانى، وتشمل كذلك على فلسفة الجمال وهى البحث فى المثل العليا أو المعايير التى نقيس بها الفن.

ونحن نأمل أن يكون هذا الكتاب طريقاً يهتدى به القارئ للوصول إلى ميدان الفلسفة الفسيح ويجعل عنده الرغبة فى التفلسف ومعايشة الأفكار والتفاعل معها والمشاركة فيها.

أسأل الله تعالى أن ينفع به طلاب العلم ويمنحنى التوفيق.

الباب الأول

مقدمات عامة

الفصل الأول

- تمهيـــد.
- مفهوم الفلسفة.
- تعريف الفلسفة.
- موضوع الفلسفة.
- تصنيف العلوم الفلسفية.
- نشأة الفلسفة.
- فائدة الفلسفة.

تمهيد

عندما وجد الانسان على ظهر الأرض رأى ظواهر الكون على اختلاف أنواعها فأثار ذلك فى نفسه الدهشة وحاول أن يتعرف علة كل شئ ومصدره الذى نشأ عنه وعلاقة حقائق الكون بظواهره، ورغب فى الوقوف على حقيقة الأشياء التى تحيط به فأخذ يفكر فى ملكوت السموات والأرض ويسأل نفسه من اين وجد؟ والى أين المصير؟

ومنذ أن بدأ الانسان هذه المحاولة قيل عنه أنه (تفلسف) وسميت هذه المحاولة بـ (الفلسفة).

وعلى ذلك فمعنى الفلسفة بوجه عام هو البحث فى حقائق الأشياء وعللها وغاياتها وعلاقة بعضها ببعض.

والفيلسوف هو من وقف عقله وتفكيره على البحث عن الحقيقة أينما كانت وفى أى مظهر من مظاهر الكون تجلت معتمدا فى ذلك كله على التفكير الحر والمنطق الانسانى الخالص.

مفهوم الفلسفة:

ان كلمة الفلسفة كلمة يونانية الأصل ولم يشأ العرب أن يستبدلوها بكلمة أخرى بل استبقوا الأصل اليونانى بعد أن أخضعوه للنطق العربى ومنه أخذ الفعل (تفلسف) ومشتقاته.

وكلمة فلسفة فى اللغة اليونانية مركبة من جزئين: (فيلو) ومعناه المحبة، و(سوفيا) ومعناه: الحكمة فكلمة (فلسفة) تعنى: محبة الحكمة[1].

---

(١) معانى الفلسفة، د. أحمد فؤاد الأهوانى، ص٧.

أما كلمة (فيلسوف) فهى ترجع أيضا الى كلمتين يونانيتين:

أحداهما "فيلوس" أى محب أو راغب، والثانية "سوفوس" أى حكمة أو معرفة، فـ (الفيلوسوفوس) هو محب الحكمة أو الراغب في المعرفة، وقد أخذ منه العرب كلمة فيلسوف التى صارت نعتا لأولئك الراغبين فى المعرفة، المحاولين تبين الحقائق.

ولم تستعمل كلمة فلسفة عند اليونان الا منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولم يكن معناها محددا ولا مضبوطا فى أول الأمر، بل كانت تشمل كل ثقافة انسانية أيا كان موضوع هذه الثقافة، كما كانت تشمل كل رغبة فى الاطلاع.

وكان الفلاسفة الى عهد سقراط يدعون بالسوفيت أى الحكماء والعلماء الطبيعيين أو العقلاء المتبصرين الذين أتقنوا فى القول وفى السير فى الحياة بنجاح، حتى اذا ماجاء سقراط حمله تواضعه على أن يقول: اننى لست (سوفيست) وانما أنا (فيلسوفوس) أى أننى لست بحكيم ولكننى محب للحكمة فحسب.

ويذهب بعض المؤرخين الى أن لفظ (الفيلسوف) قد استخدم لأول مرة على لسان تلاميذ سقراط اذ قابل افلاطون بين الفيلسوف والسوفطائى حيث قال ان السوفسطائى هو الذى ينتقل من مكان الى آخر يعلم الشباب فى سبيل أجر يتقاضاه، بينما الفيلسوف يطلب المعرفة لذاتها، ويبتغى العلم دون منفعة عملية ينتظرها من وراء ذلك.

ويقال أن "هيرودوت" المؤرخ الشهير هو أول من استخدم الفعل "يتفلسف" بمعنى: طلب العلم والتماس المعرفة لذاتها اذ ورد فى حديث له مع المشرع الاثينى "سولون" قوله: "سمعت أن رغبتك فى المعرفة، قد حملتك على

أن تطوف بكثير من البلاد متفلسفا" أى: طالبا للمعرفة بدون غرض أو منفعة عملية.

وذكر مؤرخو الفلسفة: أن أول من استخدم لفظ "الفلسفة" بمعنى البحث عن طبيعة الأشياء بدافع الرغبة فى المعرفة لذاتها ولغير غرض مادى هو: "فيثاغورس" حيث قال "من الناس من يستعبدهم التماس المجد، ومنهم من يستذله طلب المال،ومنهم قلة تستخف بكل شئ، وتقبل على البحث فى طبيعة الأشياء، وأولئك هم الذين يسمون أنفسهم محبى الحكمة أى: الفلاسفة"[١].

وأيا كان القول فى تاريخ استعمال لفظ "الفلسفة" ومن هو الذى استخدمه لأول مرة: فان الفلسفة بمعناها الحرفى أو اللغوى هى: محبة الحكمة، فما هى الحكمة؟ وما المقصود بمحبتها؟.

معنى الحكمة:

منذ زمن "فيثاغورس" أو سقراط أخذ المفكرون يطلقون على أنفسهم اسم الفلاسفة بمعنى محبى الحكمة بدلا من الحكماء (سوفوس) وقد كانت كلمة حكيم تطلق فى الأصل على كل من كمل فى شئ عقلى كان أو مادى فأطلقوها على الموسيقى والطاهى والنجار وغيرهم من أرباب الحرف، والصناعات كما أطلقوها على المشرعين والمصلحين الاجتماعيين الذين دعوا بالحكماء ومنهم "سولون" واضع دستور أثينا.

غير أن الحكمة فسرت بعد ذلك بمعنى خاص هو العلم الكامل بحقائق الأشياء على ماهى عليه، أو المعرفة اليقينية الكاملة، وبذلك تكون الحكمة هى أرقى أنواع المعرفة وأسمى درجات العلم.

---

(١) المدخل الى الفلسفة، ترجمة د. أحمد أمين، ص٨.

ولما كان هذا النوع من المعرفة خارجا عن طاقة الانسان فان الحكمة بهذا المعنى الكامل تكون خاصة بالله وحده، وهذا ما قرره كبار الفلاسفة فينسب الى "فيثاغورس" أنه قال: "الحكمة لله وحده، وانما للانسان أن يجد ليعرف وفي استطاعته أن يكون محبا للحكمة تواقا الى المعرفة، باحثا عن الحقيقة".

كما يؤثر عن "سقراط" أنه رفض تسمية الباحثين عن الحقيقية "حكماء" معللا ذلك، بأن هذا الوصف عظيم لا يتصف به الا الله وحده، وانما الجدير بهم أن يسموا "محبي الحكمة".

والقول بأن الفلسفة هي محبة الحكمه لايعني أن دور الفلسفة يقف عند مجرد الرغبة في المعرفة والتطلع اليها، وانما يعني أن الفلسفة تتطلب جهدا عقليا متواصلا، وبحثا دائبا مستمرا في سبيل الكشف عن حقائق الوجود، وأسرار الكون والحياة على قدر الطاقة الانسانية.

فالفلسفة هي الحكمة الانسانية أي أرقى معرفة مقدورة لنا بوسائلنا الخاصة التي هي العقل ومناهجه.

ومن أجل ذلك نجد "أخوان الصفا" في تفسيرهم للفلسفة يقولون "الفلسفة: أولها محبة العلوم، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم"[١] .

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، الشيخ مصطفى عبد الرازق، ص٥٤.

تعريف الفلسفة :

اختلف التعريف الاصطلاحى للفلسفة باختلاف العصور وتعدد الفلاسفة فلا يمكن لباحث فى الفلسفة أن يأتى لها بتعريف يحدد معناها بحيث تكون جامعا مانعا شاملا لها فى جميع العصور والأطوار التى مرت بها منذ بدأ الانسان يفكر تفكيرا فلسفيا حتى اليوم، وذلك لأن التعريفات تؤخذ غالبا من الموضوع الذى يتناوله العلم، والفلسفة بالذات من المواد التى لم تقف مباحثها عند حد معين، بحيث يكون موضوعيا لها يتناوله الفلاسفة حتى عصرنا الحاضر.

ذلك أن كل عصر من العصور التى مرت بها الفلسفة كان الفلاسفة يتناولون منه موضوعا خاصا يتفق وطابع هذا العصر، بل أن هذا الموضوع كان يختلف فى العصر الواحد باختلاف الفلاسفة أنفسهم، وتباين نزعاتهم فى التفكير، ووجود عوامل خاصة تجعلهم يتجهون الى جهة معينة فى البحث.

لذلك كان موضوع الفلسفة متغيرا دائما، متطورا بتطور العصور واختلافها، فهو ضيق محدود حينا، وواسع متشعب النواحى متعدد الفروع حينا آخر، ولهذا كان من الطبيعى أن يتغير تعريفها تبعا لتغير موضوعها، وان يختلف فى عصر ما عما كان عليه فى عصر سابق، وعما سيكون عليه فى عصر لاحق، الأمر الذى ترتب عليه أننا لانجد تعريفا جامعا مانعا للفلسفة يحدد معناها تحديدا تاما، ويوضح معالمها توضيحا شاملا لها فى جميع العصور.

وعلى هذا فلا مناص لنا لكى نعرف الفلسفة تعريفا صحيحا من أن نجعل لها تعاريف متعددة بحيث يكون كل تعريف مشتقا من الموضوع الذى تناولته الفلسفة فى كل عصر من عصورها، ولدى كل فيلسوف اشتغل بها.

وهذا بدوره يقتضينا أن نبين المراحل التى مرت بها الفلسفة قديما وحديثا، وأن نستعرض الموضوعات التى تناولتها الفلاسفة فى كل مرحلة حتى يمكننا أن نعرف الفلسفة بحدها تعريفا صحيحا.

أولا: تعريف الفلسفة فى العصر اليونانى:

تبين لنا مما سبق أن ظهور مصطلح "فلسفة" من وجهة النظر التاريخية كان لدى اليونان القدماء".

وقد كانت الفلسفة لديهم -فيما يؤثر عن سقراط وبوجه خاص فى المدرسة الافلاطونية الأرسطية -تعنى العلم بمعناه الواسع الشامل. وبناء على ذلك فالفلسفة بوجه عام كانت تعنى العمل المنهجي للفكر الذى ينبغى أن يؤدى الى معرفة الموجود. وهذا هو المعنى النظرى لمفهوم الفلسفة[1].

ومعنى ذلك أن الفلسفة مرادفة للعلم بأشمل معانيه فهى كل بحث علمى يراد به الوصول الى الحقيقة أيا كان نوع هذا البحث فالفلسفة بهذا التعريف تشمل العلوم النظرية من الالهيات والرياضيات والطبيعيات، كما تشمل العلوم العملية من الأخلاق والسياسة والاقتصاد.

أما الفلسفة بالمعنى الضيق المحدود فيراد بها: علم الموجودات بعللها الأولى أى البحث عن المبادئ الأولى والجواهر الأساسية والعلل الفاعلة للأشياء حتى ينتهى هذا البحث الى العلة الأولى.

والفلسفة بهذا المعنى تسمى الفلسفة الأولى، لأن موضوعها هو العلل الأولى والمبادئ الكلية كما تسمى بالفلسفة الالهية لأنها تبحث فى الله الموجود

---

(١) تمهيد للفلسفة، د. حمدى زقزوق، ص٤٦.

الأول والعلة الأولى، ولأن البحث فى الله عبارة عن البحث فى الموجود من حيث هو موجود اذ أن الطبيعة الحقة انما تتجلى فيما هو دائم لافيما هو حادث.

ولبيان تعريف الفلسفة عند اليونان نجد أنها مرت بأربعة عصور أو بأربع مراحل. كان موضوع الفلسفة يتغير فى كل مرحلة منها:-

١- <u>ففى المرحلة الأولى</u>:

وهى ما تعرف فى تاريخ الفلسفة بمرحلة (ماقبل سقراط) كان الفلاسفة يعنون بدراسة الكون الطبيعى، وما يتألف منه هذا الكون من العناصر، ويحاولون معرفة الأصل الذى نشأ عنه هذا العالم الطبيعى المحسوس، وان كانوا قد اختلفوا فيما بينهم فى تعيين ذلك الأصل، فهو الماء كما قال طاليس، أو الهواء كما قال انكسيمنس، أو العدد كما قال الفيثاغوريون، أو الذرة كما قال ديمقريطس. وهكذا كانت أنظار الباحثين فى هذه المرحلة تتجه الى الكون الطبيعى وتتخذه موضوعا لتفكيرها.

ولذا تعرف الفلسفة فى هذا العصر بأنها البحث النظرى فى العالم الطبيعى وتعليل ظواهر الوجود.

٢- <u>وفى المرحلة الثانية</u>:

وهى ما تعرف فى تاريخ الفلسفة بـ (عصر السوفسطائيين وسقراط) تدرج التفكير اليونانى. حيث انتقل من الطبيعة الى الانسان وما يتصل به من أفعال عقلية وخلقية، ففى تلك المرحلة درس فلاسفة اليونان قوى الانسان الباطنية من فكر، وارادة وغيرهما، وعمل كل قوة من هذه القوى، فظهرت مبادئ المنطق والأخلاق والنفس.

ومن فلاسفة اليونان الذين عنوا بهذه المبادئ: السوفسطائيون الذين من اشهرهم بروتاجوراس وجورجياس وقد جعلوا من مهمتهم أن يعلموا الشباب الأثينى بلاغة القول وفنون الخطابة والمهارة فى الصنعة والحرفة التى يقوم بها المحترف والصانع، وصار المقصود من الفلسفة عند هؤلاء السوفسطائيين هو العمل النظرى الممارس الذى يقصد منه الغلبة على الخصم بالحق أو بالباطل.

ولكن يعتبر سقراط أشهر شخصية عرفت فى هذا العصر فهو وان اتفق مع السوفسطائيين فى توجيه البحث الفلسفى الى الانسان بدلا من الطبيعة الا أنه خالفهم فى اثبات حقائق الأشياء وقد كانوا ينكرونها، كما أنه وجه الفلسفة الى دراسة الانسان لنفسه ومعرفة الحق والعدل والخير، ودراسة هذه المبادئ الخلقية دراسة نظرية مبنية على المنطق مدعمة بالعقل، أى أن الفلسفة عند سقراط قد اشتملت على تحديد معنى الحق وعلى توضيح معنى الخير والعدل.

ولذا تعرف الفلسفة عند سقراط بأنها: البحث عن الحقائق بحثا نظريا وعن المبادئ الاخلاقية من خير وعدل وفضيلة[١].

٣- أما فى المرحلة الثالثة:

من مراحل الفلسفة اليونانية فقد اتسع نطاق الفلسفة على يد افلاطون أولا، ثم على يد تلميذه أرسطو بعد ذلك فبعد أن كان موضوع الفلسفة هو الكون المادى عند الطبيعيين. وكان عبارة عن دراسة الانسان من النواحى العقلية والخلقية عند سقراط، فأصبح عند أفلاطون هو البحث عن الجواهر الثابتة أو الكائنات الحقيقية، أو "المثل" كما يسميها هو، وهذه الجواهر أو المثل

(١) نشأة الفكر الفلسفى عند اليونان، د. على سامى النشار، ص٢٠.

ليست محسوسة، بل هى موجودات مجردة عن المادة كما أن أفلاطون جعل من الخير والجمال موضوعا من موضوعات الفلسفية.

لذا أصبحت الفلسفة عند أفلاطون تدرس أشياء مختلفة بعضها يتعلق بما بعد الطبيعة، وبعضها الآخر يتعلق بالأخلاق لتوجيه سلوك الانسان نحو الخير.

ولذلك تعرف الفلسفة عنده بأنها: البحث عن الأمور الأزلية أو معرفة حقائق الأشياء ومعرفة الخير للانسان.

ولما جاء أرسطو استمر فى توسيع نطاق الفلسفة حتى صار موضوعها يشمل كل معرفة انسانية أو بعبارة أخرى أصبحت الفلسفة مرادفة لمعنى العلم وهذه هى الفلسفة عند أرسطو بمعناها العام، يندرج تحتها جميع العلوم من المنطق والمعرفة والطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق والسياسة.

أما الفلسفة بالمعنى الخاص فيطلقها على الفلسفة الالهية (فلسفة ماوراء الطبيعة) فقط التى دعاها أرسطو بالفلسفة الحقيقية.

وتعرف الفلسفة بهذا المعنى الخاص بأنها: البحث عن علل الأشياء وأصولها الأولى[1].

٤- <u>وفى المرحلة الرابعة:</u>

من مراحل الفلسفة اليونانية هى مرحلة مابعد أرسطو، وفى هذه المرحلة أخذت الفلسفة اليونانية فى التدهور والاضمحلال.

---

(١) أسس الفلسفة، د. توفيقالطويل، ص٢١.

ففى هذا العصر انكمش موضوع الفلسفة ولم يبتكر الفلاسفة شيئا جديدا فقد ظهرت فيه مدرستا الأبيقوريين والرواقين وعلى يد هاتين المدرستين تحولت الفلسفة من البحث الواسع الشامل لجميع الموضوعات من الهية وطبيعة وانسانية الى البحث فى بعض جوانب الانسان انتقلت من البحث النظرى الى البحث العلمى، وصارت المباحث الفلسفية قاصرة على الانسان من ناحية أخلاقه وسعادته وسلوكه فى هذه الحياة وقيمته فيها، وان اختلفت المدرستان فى تحديد الغاية التى تريد كل منهما الوصول اليها. فالأبيقوريون مثلا كانوا يطلبون السعادة، ويرونها فى الحصول على اللذة، ولذا تعرف الفلسفة عندهم" بأنها القدرة على السعادة بواسطة العقل والفطنة.

أما الرواقيون فكانوا واجبيين يطلبون الواجب لذاته مهما كلفهم عمل الواجب من تضحيات فى المال أو النفس أو غيرهما وقد توصلوا لذلك بعمل الفضيلة.

ولذا تعرف الفلسفة عندهم بأنها: السعى وراء الفضيلة وما يجب أن يسير عليه الانسان فى حياته[١].

<u>ثانيا: تعريف الفلسفة فى القرون الوسطى المسيحية:</u>

ظلت الفلسفة اليونانية معتمدة على العقل الانسانى فقط بعيدة عن ديانة اليونان حتى جاءت الديانة المسيحية مستندة الى الوحى السماوى تناجى القلوب والمشاعر، وتسن الشرائح والقوانين وتطلب من الناس التمسك بالتعاليم الدينية، فلم يكن من المرغوب فيه عند رجال الدين المسيحى البحث العقلى الحر بعيدا عن الدين المسيحى وتعاليمه.

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم ص٢٠ وما بعدها.

لذلك ظهر عداء بين المسيحية وبين الفلسفة التى تمتاز بأنها تبحث بالعقل الانسانى الحر والتفكير البعيد عن الدين والعقائد وتستمد معرفتها من العقلية الانسانية على مافيها من اختلاف وتضارب.

وكان نتيجة هذا العداء أن أخذ رجال الدين المسيحى يضطهدون الفلاسفة ويشردونهم ويعذبونهم.

ولكن هذا الايذاء والاضطهاد لم يمنع الفلاسفة من مواصلة النظر العقلى والتفكير الفلسفى فى الخفاء مما جعل رجال الكنيسة يتخذوا طريقا آخر ومسلكا جديدا تجاه الفلسفة، ذلك الطريق هو أنهم قربوا الفلسفة من الدين على أن تكون خادمة له توضح عقائده وتحاول أن تظهره متفقا مع العقل غير مناقض له، وخاصة وأن كثيرين من الفلاسفة كانوا قد اعتنوقا الدين المسيحى، فأصبحت السيادة لتعاليم الكنيسة أما دور الفلسفة هو دور الخادم للتأسيس العلمى للعقيدة وتكوينها والدفاع عنها.

وهكذا كانت أهم الأمور التى تتميز بها فلسفة هذا العصر هى محاولة التوفيق بين العقل والوحى، والرغبة فى جعل العلاقة بين الديانة المسيحية والعلم القديم علاقة وفاق وانسجام، والتدليل على أن حقائق الوحى ماهى الا تعبير عن العقل.

وكان موضوع الفلسفة فى ذلك الوقت هو علم ماوراء الطبيعة (الالهيات) وعلاقة الآله الخالق بهذا الكون المحسوس(١).

---

(١) محاولات فلسفية: د. عثمان أمين ص ١٢٥، ص ١٢٦.

ثالثا: تعريف الفلسفية عند فلاسفة المسلمين:

لم يعرف العرب فى جاهليتهم فلسفة بالمعنى الاصطلاحى، وانما كانت لهم نظرات فلسفية متناثرة فيما خلفوه لنا من نثر وشعر.

ولما جاء الاسلام بعث فيهم حياة جديدة، ونقلهم الى أفق فسيح من العلم والمعرفة، وأصبحوا دعاة هداية وسلام وأقاموا صرح دولة عظمى تمتد من أقصى الصين شرقا الى أقصى الأندلس غربا وأنشأوا حضارة زاهرة كانت من أطول الحضارات عمرا فى التاريخ.

وفى هذا الجو ازدهرت العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وأسهم المسلمون فى الجهود الفلسفية، فنقلوا فلسفة اليونان وأصبحت لهم فلسفة تحمل طابعهم وتميزهم عن غيرهم.

وعلى الرغم من تأثرهم فى كثير من الجوانب بفلسفة اليونان فان العناصر التى أخذوها من هذه الفلسفة قد تحولت على أيديهم واكسبت طابعا جديدا[1].

وقد عرفها الكندى وهو أول فيلسوف مسلم لقب بفيلسوف العرب بأنها "علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان "واعتبر الفلسفة الأولى- التى هى علم الحق الأول الذى هو علة كل حق- أشرف أنواع الفلسفة وأعلاها مرتبة.

ويرجع هذا الشرف الى أن شرف العلم من شرف موضوعه، وأن العلم بالعلة أعلى درجة من العلم بالمعلول، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان العلم بالعلة سبيل الى العلم التام بالمعلول[2].

---

(١) تمهيد للفلسفة: د. محمود زقزوق، ص٥٠.
(٢) الكندى وفلسفته، د. أبو ريده، ص٤٤.

وعرفها الفارابى بأنها "العلم بالموجودات بما هى موجودة" ويرى أن الفلسفة على الحقيقة هى القسم الالهى فهو فى هذا لايبتعد عن سلفه الكندى فى التأكيد على الفلسفة الأولى باعتبارها أشرف أنواع الفلسفة أو أنها الفلسفة الحقة.

وفى ذلك يقول الفارابى:

" وأما الغاية التى يقصد اليها فى تعلم الفلسفة فهى معرفة الخالق تعالى وأنه واحد غير متحرك، وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء".

وعرفها ابن سينا بأنها "صناعة نظرية يستفيد منها الانسان تحصيل ماعليه الوجود كله فى نفسه، وما الواجب عليه عمله مما ينبغى أن يكتسب فعله لتشرف بذلك نفسه وتستكمل، وتصير عالما معقولا مناهيا الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الانسانية".

وعرفها السيد الجرجانى بأنها: "التشبه بالاله حسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق صلى الله عليه وسلم فى قوله (تخلقوا بأخلاق الله)، أى تشبهوا به فى الاحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات".

وتعريف الجرجانى للفلسفة تعريف يونانى قديم الا أنه جعله تعريفا جديدا بالاستشهاد عليه بالحديث الشريف وبالتالى يتم اخضاعه للنظرة الاسلامية[1].

مما سبق يتبين لنا أن هذه التعريفات السابقة تتقارب مدلولاتها على اختلاف مابينها فى العبارة، فهى تبين أن الفلسفة عبارة عن معرفة الموجودات

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية.
الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ص٤٩- ص٥٧.

بحقائقها بالمقدار الذى يستطيعه الانسان لأن هذه المعرفة تكمل الانسان الذى خلقه الله وفى طبيعته استعداد للعلم والمعرفة.

كما يتضح أن تعريف الفلسفة لدى الفلاسفة المسلمين لم يبعد عن الفهم اليونانى للفلسفة وخاصة فهم أرسطو لها.

وليس يعنى ذلك أن المسلمين قلدوا ولم يضيفوا شيئا، فرغم أنهم تفلسفوا على طريقة اليونان الا أن لهم ابتكاراتهم فى ميادين علم الكلام والتصوف وأصول الفقه، كما أن الفلسفة الاسلامية قد سلكت طريق التوفيق بين الفلسفة والدين، وهذا مجال آخر ظهر فيه عبقرية الفلاسفة. هذا بالاضافة الى مالهم من آراء فلسفية أصيلة مبتكرة.

<u>رابعا</u>: <u>تعريف الفلسفة فى العصر الحديث</u>:

أما الفلسفة فى العصر الحديث -عصر النهضة وهو الذى يبدأ من القرن السابع عشر الميلادى الى عصرنا الحاضر- فقد تحررت الفلسفة فيه من الدين وصارت تبحث عن موضوعاتها حرة مستقلة مستندة فى بحثها الى العقل الانسانى الطليق من قيود الدين.

ومع ذلك أيضا فقد اختلفت تعاريف الفلسفة فى هذا العصر لاختلاف موضوع البحث الذى تناوله الفلاسفة.

فهذا هو "<u>فرنسيس بيكون</u>" يرى أن الفلسفة هى العلم الباحث فى الموجودات بالعقل الانسانى المحض.

وأما "<u>توماس هوبز</u>" فيرى أن الفلسفة هى العلم بالروابط العلية بين الأشياء، فقد رأى هذا الفيلسوف أن الكائنات الجزئية انما ينشأ بعضها عن

بعض بطريق السببية فهذا سبب، وهذا مسبب وهذا علة وهذا معلول، وأراد فى بحثه الفلسفى أن يصل الى بيان هذه العلل وحقيقتها.

أما الفيلسوف "ديكارت" الملقب بأنه أبو الفلسفة الحديثة فقد فهم من الفلسفة أن المراد بها العلم، وأنها هى التى تشتغل بالأصول الأولى للمعرفة الانسانية، وحصر الفلسفة فى المنطق والطبيعة، وماوراء الطبيعة[١].

أما الفيلسوف الألمانى "كانت" فقد عرف الفلسفة بأنها "العلم الباحث عن المعرفة النظرية المستمدة من المعانى الذهنية".

هذا واذا انتقلنا بعد ذلك الى الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة رأينا أنها فى مجموعها تنزع الى اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول:

يقر أصحابه بالجانب الميتافيزيقى ويبقون على مهمة الفلسفة بغايتها النظرية فى كشف الحقيقة لذاتها، والعملية فى تحقيق سعادة الانسان، ويعبر عن هذا الاتجاه الفيلسوف الانجليزى المعاصر (سنكلير) الذى يعرف الفلسفة بأنها : محاولة يراد بها فهم الوجود ومعرفة أنفسنا وادراك مكاننا من الوجود لأسباب عقلية نظرية أو أغراض عملية مادية.

فالفلسفة بهذا المعنى هى مجرد محاولة عقلية لفهم الكون والانسان ومكان الانسان من الوجود، وهدفها قد يكون اشباع اللذة العقلية وحب الاستطلاع الفطرى فى الانسان، وقد يكون الهدف مع ذلك الانتفاع بثمار ونتائج هذا المجهود العقلى فى المجال الواقعى.

---

(١) دروس فى تاريخ الفلسفة، د. مذكور، د. يوسف كرم، ص٢٣٥.

الاتجاه الثانى:

لايعترف أصحابه الا بالواقع المحسوس الذى يخضع لمناهج البحث التجريبى، ويستبعدون الميتافيزيقا وفكرة الوجود العام من مجال البحث العقلى، فهم ينكرون مهمة الفلسفة الميتافيزيقية ومجالها بزعم أن كل ما يمكن معرفته عن العالم وعن الانسان ومكانه منه قد تكفلت به العلوم الطبيعية التى تدرس الكون، والعلوم الانسانية التى تدرس الانسان.

وعلى ذلك فالفلسفة عندهم عبارة عن توضيح الأفكار توضيحا منطقيا أى شرح القضايا العلمية وازالة غموضها للوقوف على حقيقة معانيها.

موضوع الفلسفة

من العرض السابق لتعريفات الفلسفة نكون قد أخذنا فكرة عامة وتصوراً اجماليا عن الموضوعات التى تهتم بها الفلسفة ولكننا نريد هنا أن نزيد هذا الموضوع ايضاحا وتحديد من خلال حديثنا عن موضوع الفلسفة.

فى الحقيقة أن الفلاسفة قد بحثوا فى كل شئ فليس هناك فى حقيقة الأمر شئ لايمكن أن يكون موضوعا للفلسفة أو التفلسف لأن الفلسفة لا تبحث فى شئ واحد بعينه، بل انها تحاول معرفة كل شئ يمكن للعقل أن يبحث فيه، فهى تحاول أن تتبين من اين جاء هذا العالم؟ وكيف هو الآن؟ وما مصيره؟ كما أنها تبحث فى الله وما يجب أن يتصف به، وتبحث فى الكون كله بحثا شاملا له فى جميع نواحيه، وتعنى بالانسان لأنه هو الباحث المتعرف، فتتناوله بالدراسة من نواح متعددة، من ناحية معرفته ومن ناحية سلوكه ومن ناحية مبدئه ومصيره.

ومن هنا يكون موضوع الفلسفة ليس شيئا واحدا معينا وانما موضوعها أشياء متعددة.

وعلى الرغم من ذلك نجد جمهور الباحثين ومؤرخى الفلسفة حددوا لنا موضوع الفلسفة فى ثلاثة مباحث رئيسية هامة هى:

ا- <u>مبحث الوجود:</u>

وهذا المجال يتناول البحث فى طبيعة الوجود على الاطلاق مجردا من كل تعيين أو تحديد وبهذا يفترق البحث الفلسفى عن البحث العلمى الذى يتناول الوجود من بعض نواحيه فالعلوم الرياضية تبحث فى الوجود من حيث هو كم

أو مقدار، والعلوم الطبيعية تبحث فى الوجود من حيث هو جسم متغير، أما مبحث الوجود فيبحث فى الوجود بصفة كلية.

كما يتناول هذا المبحث أيضا خصائص الوجود العامة والنظر فى الظواهر والأحداث الكونية هل يحكمها قانون ثابت أو أنها اتفاقية، وهل هذه الأحداث تظهر من تلقاء نفسها أم تصدر عن علل ضرورية تجرى على قوانين المادة والحركة، وهل هذه الأحداث تجرى عن غير قصد أو تهدف الى غايات، وهل وراء هذه الظواهر المتغيرة اله، وما علاقته بمخلوقاته، وهل الوجود ماديا صرفا أم روحيا خالصا، الى غير ذلك من المسائل التى تناولتها المذاهب الفلسفية فى مختلف العصور مما يتعلق بالطبيعة وما وراءها[١].

٢- نظرية المعرفة:

وهذا المبحث وثيق الصلة بالمبحث السابق لأن المعرفة هى ادراك الوجود كليا وجزئيا بل أن بعض المؤرخين وحد بين مابعد الطبيعة ونظرية المعرفة.

ذلك أن البحث الميتافيزيقى هو أول مشكلة عرضت للعقل البشرى وعن هذه المشكلة نشأت مشكلة المعرفة.

وتتناول نظرية المعرفة البحث فى طبيعة المعرفة البشرية وتفسير ماهيتها، كما تشمل البحث فى منابعها ووسائلها من الحس والعقل أو البصيرة، والى جانب ذلك تبحث فى امكان المعرفة أو الشك فى وجودها، وهل هى ظنية أو يقينية وعلاقة الأشياء المدركة بالقوى التى تدركها.

---

(١) مقدمة فى الفلسفة العامة، د. يحيى هويدى، ص٥٧، ص٥٨.

٣- **مبحث القيم:**

يختص هذا المبحث بدراسة المثل العليا أو القيم المطلقة وهذا النوع من القيم هو الذى يدخل فى نطاق البحث الفلسفى والمتفق عليه عند جمهور الفلاسفة والباحثين: أن القيم المطلقة ترجع الى ثلاث هى: الحق، والخير، والجمال، والبحث فيها من حيث كونها صفات عينية للأشياء،بمعنى أن لها وجودا مستقلا عن العقل الذى يدركها،أوهى معانى مجردة فى العقل تقوم بها الأشياءالىغيرذلك من المسائل التى تتناولها فلسفة القيم وهىتشمل علوما ثلاثة معيارية تبحث فيما ينبغى أن يكون،لافيما هوكائن بالفعل شأن العلوم الوضعية.

هذه العلوم الثلاثة هى: علم المنطق، وعلم الأخلاق، وعلم الجمال. فعلم المنطق: يبحث فى قيمة الحق، اذ أنه يضع القواعد التى تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر، أى أنه يبحث فيما ينبغى أن يكون عليه التفكير السليم.

وعلم الأخلاق: يبحث فى قيمة الخير، لأنه علم الفضائل، وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الانسان، وبالرذائل وكيفية التخلى عنها، فهو يضع المثل العليا التى ينبغى أن يكون عليها سلوك الانسان.

وعلم الجمال: يضع المستويات التى يقاس بها الشئ الجميل أى أنه يبحث فيما ينبغى أن يكون عليه الشئ الجميل[١].

مما سبق يتبين لنا أن المتفق عليه لدى جمهور الفلاسفة أن موضوع الفلسفة ينحصر فى مباحث ثلاثة هى: الوجود، والمعرفة، والقيم، ولم يشذ عن هذا الاتفاق الا طوائف الماديين وخاصة فى المذاهب الفلسفية المعاصرة حيث استبعدوا الميتافيزيقا من مجال البحث على زعم أن قضاياها فارغة لاتحمل معنى، ورأوا أن الفلسفة منهج بغير موضوع

---

(١) مقدمة فى الفلسفة العامة، د. يحيى هويدى، ص١٤٤.

تصنيف العلوم الفلسفية

إن أى تصنيف للعلوم الفلسفية يجب أن يخضع لتعريف معين من تعريفات الفلسفة التى سبق أن أشرنا اليها، ولكن نظرا للاختلافات القائمة بين تعريفات الفلسفة فسوف نجد اختلافات أساسية بين تصنيفات العلوم الفلسفية.

لذلك، سوف نعرض لبعض النماذج لتصنيفات الفلاسفة للعلوم الفلسفية فى عصور الفلسفة المختلفة.

أولا: تصنيفات القدماء:

١- تصنيف أفلاطون: يعتبر تصنيف أفلاطون للفلسفة أقدم تصنيف معروف لنا تاريخيا، فهو يقسم الفلسفة الى ثلاثة أقسام رئيسية:-

القسم الأول: الجدل: ويشمل النظر فى العلم الانسانى وفى مسائل مابعد الطبيعة وهو البحث فى المعقولات والنظر فى طبيعة وجود الأشياء.

القسم الثانى: العلم الطبيعى: ويشمل علم الطبيعة والفلسفة الطبيعية وعلم النفس.

القسم الثالث: الأخلاق: وهى العلم الذى يبحث فى السلوك الانسانى.

وقد كان لهذا التقسيم أثر كبير فى العصور اللاحقة، فقد أخذ به الرواقيون والأبيقوريون، وظل سائدا فى الفلسفة حتى القرون الوسطى وما بعدها[1].

٢- تصنيف أرسطو: فى هذا التصنيف يميز أرسطو بين ثلاث مجموعات من العلوم:

١- العلوم النظرية.

---

(١) المدخل الى الفلسفة: كوليه ترجمة أبو العلا عفيفى، ص١٦ وما بعدها.

٢- العلوم العملية.

٣- العلوم الشعرية.

فالعلوم النظرية تهدف الى مجرد المعرفة وطلب الحقيقة لذاتها، وتنقسم الى ثلاث أقسام: طبيعيات: وتبحث فى الوجود من حيث هو متحرك محسوس، ورياضيات: وتبحث فى الوجود من حيث هو مقدار وعدد مجرد عن المادة، وإلهيات: وتبحث فى الوجود من حيث هو وجود مطلق، وهو ما يطلق عليه أرسطو الفلسفة الأولى تمييزا لها عن الفلسفة الثانية التى هى العلم الطبيعى.

أما العلوم العملية فتنقسم بدورها الى الأخلاق السياسية وتدبير المنزل.
أما العلوم الشعرية فموضوعها الانتاج الفنى على اختلاف أنواعه[1].

٣- <u>تصنيف الأبيقوريين والرواقيين:</u> يضع الأبيقوريون تقسيما ثلاثيا للفلسفة يشتمل على الاخلاق والمنطق والعلم الطبيعى وبذلك يجعلون المنطق قسما من اقسام الفلسفة إذ أن المنطق -بحسب مذهبهم- نقد للمعرفة ونظر فى علامات الحقيقة وفى الطريق الى اليقين والطمأنينة العقلية التى تؤدى الى السعادة الحقة، والأخلاق عند الأبيقوريين هى محور الفلسفة، يخدمها فى ذلك المنطق وهو علم قوانين الفكر، ثم العلم الطبيعى.

ويقسم الرواقيون الفلسفة الى ثلاثة أقسام: العلم الطبيعى والجدل (أى المنطق) والأخلاق، والعلم الطبيعى يكشف لنا عن وحدة الوجود، والعقل هو أداة هذا العلم، والعقل كذلك منبث فى الطبيعة ويسميه الرواقيون "الله". وهذا العقل هو الذى يربط بين العقل والمعلولات فى الطبيعة، ويربط التالى بالمقدم

---

(١) الفلسفة ومباحثها، د. على أبوريان، ص٩٠.

(فى القضايا الشرطية) فى المنطق، وهو الذى يطابق بين أفعالـه وبيـن قوانيـن الوجود فى الأخلاق حتى يسلك الإنسان وفقا للطبيعة[١].

ثانيا: تصنيفات المسلمين:

لقد أخذ الفلاسفة المسـلمون علـى وجـه العمـوم بتصنيـف أرسـطو فنجـد الكندى يذكر أن علـوم الفلسـفة ثلاثـة: أولهـا العلـم الريـاضى فـى التعليـم وهـو أوسطها فى الطبع، والثانى علم الطبيعيات وهو أسفلها فى الطبع، والثالث علـم الربوبية وهو أعلاها فى الطبع[٢].

وعلـم الرياضيـات عنـد الكنـدى يشـتمل علـى دراسـة العـدد والهندسـة والتنجيم، ويلاحظ أن الكندى أغفل ذكر المنطق فى تقسيمه للفلسفة ولم يعرض بالتفصيل لأقسام الفلسفة العملية بل أشار اليها إشارة مجملة.

أما الفارابى فانه يعد الفيلسوف الإسـلامى الوحيـد الـذى اعتنـى بدراسـة تصنيفات العلوم وأفرد لها كتابا خاصا هو "تصنيف العلوم" الذى يعـد مـن أهـم كتبه على الاطلاق.

والفارابى يقسم العلوم الى قسمين كبيرين:-

الأول: قسم تحصل به معرفـة الموجـودات والتـى ليـس للانسـان فعلهـا، وهى العلوم النظرية، وقسم آخر تحصل به معرفة الأشياء التى شأنها أن تفعل، والقوة على فعل الجميل منها وهذه هى العلوم العملية والفلسفة المدنية.

أولا: العلوم النظرية وتشتمل على ثلاثة أصناف:

١- علم التعلايم (التعليمات، العلم الرياضى).

---

(١) الفلسفة ومباحثها، د. أبو ريان، ص٩١.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مطصفى عبد الرازق، ص٤٨.

٢- العلم الطبيعى.
٣- العلم الإلهى (مابعد الطبيعة).

وكل واحد من هذه العلوم يشتمل على صنف من الموجودات التى من شأنها أن نعلم فقط أى أن غاية كل علم من هذه العلوم المعرفة فحسب وليس النفع العملى.

ثانيا: أما العلوم العملية والفلسفية المدنية فهى صنفان:
١- صنف يحصل به الانسان على الأفعال الجميلة والأخلاق التى تصدر عنها هذه الأفعال والقدرة على أسبابها، وتسمى بالصناعة الخلقية أو بعلم الأخلاق.
ويلاحظ أنه عند المحدثين قد تفرغ هذا العلم إلى أقسام ثلاثة: فلسفة الأخلاق وعلم الأخلاق ثم علم الجمال وفلسفة الجمال.
٢- صنف آخر يشتمل على معرفة الأمور التى تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن والقدرة على تحصيلها لهم وهذه تسمى بالفلسفة السياسية أو علم السياسة[1]

أما ابن سينا فهو يقسم الحكمة الى قسمين قسم نظرى مجرد وقسم عقلى، فالحكمة المتعلقة بالأمور التى لنا أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمة نظرية، والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التى لنا أن نعلمها ونعمل بها تسمى حكمة عملية.

وكل واحدة من هاتين الحكمتين تنحصر فى أقسام ثلاثة، فأقسام الحكمة العملية: حكمة مدنية، وحكمة منزلية، وحكمة خلقية، ومبدأ هذه الثلاثة مستفاد

---

(١) الفلسفة ومباحثها، د. أبو ريان، ص٩٨.

من جهة الشريعة الإلهية وكمالات حدودها نستبين بها ونتصرف فيها بعد ذلك القوة النظرية من البشر بمعرفة القوانين واستعمالها فى الجزئيات.

فالحكمة المدنية فائدتها أن يعلم أنه كيف يجب أن تكون المشاركة التى تقع فيما بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان ومصالح بقاء نوع الإنسان.

والحكمة المنزلية فائدتها" أن تعلم المشاركة التى ينبغى أن تكون بين أهل المنزل الواحد لتنتظم به المصلحة المنزلية، والمشاركة المنزلية تتم بين زوج وزوجة، ووالد ومولود، ومالك وعبد.

وأما الحكمة الخلقية ففائدتها: أن تعلم الفضائل، وكيفية اقتنائها لتزكو بها النفس، وتعلم الرذائل وكيفية توقيها لتطهر عنها النفس.

أما الحكمة النظرية فأقسامها ثلاثة:

حكمة تتعلق بما فى الحركة والتغير من حيث هو فى الحركة والتغير، وتسمى حكمة طبيعية، وحكمة تتعلق بما من شأنه أن يجرده الذهن عن التغير وإن كان وجوده مخالطا للتغيير وتسمى حكمة رياضية، وحكمة تتعلق بما وجوده مستغن عن مخالطة التغيير فلا يخالطها أصلا، وان خالطها فبالعرض، لا أن ذاتها مفتقرة فى تحقيق الوجود اليها وهى: الفلسفة الأولى والفلسفة الإلهية جزء منها، وهى معرفة الربوبية.

ومبادئ هذه الأقسام التى للفلسفة النظرية مستفادة من أرباب الملة الإلهية على سبيل التنبيه، ومتصرف على تحصيلها بالكمال بالقوة العقلية على سبيل الحجة، ومن أوتى استكمال نفسه بهاتين الحكمتين، والعمل مع ذلك بإحداهما: فقد أوتى خيراً كثيراً[1].

---

(١) التفكير الفلسفى فى الإسلام، د. عبد الحليم محمود، ص ٢٢٤، ص ٢٢٥.

ثالثا: تصنيفات الفلاسفة المحدثين:

هناك تصنيفات كثيرة للعلوم الفلسفية فى العصر الحديث ولكننا سنكتفى بايراد بعض النماذج الهامة من بينها، وهى تصنيفات كل من: بيكون، وديكارت، وهيجل:

تصنيف بيكون:

وأول تصنيف يقابلنا فى العصر الحديث هوتصنيف فرنسيس بيكون (١٦٢٣م)فإذا كان أرسطو قد اعتبر أغراضنا من المعرفة أساساً لتصنيفه فإن بيكون قد حاول تصنيف الفلسفة بحسب قوانا العارفة وقد حصرهذه القوى فى ثلاث: الذاكرة،والمتخيلة،والعقل.ولذلك فقد قسم العلوم الفلسفية الى ثلاثة أقسام:

١- علم التاريخ ونحصله بالذاكرة وله قسمان: التاريخ المدنى، والتاريخ الطبيعى.
٢- الشعر ونحصله بالمخيلة.
٣- الفلسفة: ونحصلها بالعقل.

وتناول بيكون علوم العقل أى الفلسفة وقسمها باعتبار أن موضوعاتها هى: الله والطبيعة والإنسان الى ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول وهو الفلسفة الإلهية.
٢- القسم الثانى وهو الفلسفة الطبيعية.
٣- أما القسم الثالث فهو الفلسفة الإنسانية[1].

أما ديكارت فهو يشبه الفلسفة بشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزيقا، والميتافيزيقا تشمل مبادئ المعرفة، والفيزيقا تشمل البحث عن ماهية الكون وبوجه خاص عن طبيعة الأرض وطبيعة الأجسام التى توجد حولها مثل الهواء والماء والنار والمغناطيس والمعادن الأخرى، وبعد ذلك يبحث

---

(١) الفلسفة ومباحثها ، د. أبو ريان ، ص١٠٢.

المرء عن طبيعة كل من النبات والحيوان، وعن طبيعة الإنسان بوجه خاص حتى يستطيع بعد ذلك أن يجد العلوم الأخرى النافعة التى تتمثل فى الطب والميكانيكا والأخلاق.

فديكارت جعل الميتافيزيقا أساس كل العلوم لأنها هى التى تزودنا بالمبادئ الأولى للأشياء(١).

أما تصنيف هيجل فهو يعتبر أهم تصنيف فى العصر الحديث، اذ أنه ينصب على تحديد العلم المطلق ومبادئ المعرفة ويشير بالذات إلى الابستمولوجيا أى العلم الذى يبحث فى أصل المعرفة من ناحية مادتها، ثم يبحث فى المبادئ التى تقوم عليها المعرفة وهذا ما يسميه بنظرية المبادئ، والبحث فى هذه المبادئ إما أن يكون بحثاً عاماً وهو علم الطبيعى أو بحثا خاصا تدخل تحته فلسفة الطبيعة، وفلسفة العقل(٢).

من العرض السابق لبعض نماذج التصنيفات للعلوم الفلسفية فى عصور الفلسفة المختلفة يتبين لنا أنه لايوجد بينها أى تصنيف يتفق عليه الفلاسفة، وذلك يرجع الى تعدد تعريفات الفلسفة، وقد سبق لنا أن ذكرنا أنه ليس بينها أى تعريف جامع مانع، فكل تصنيف له منطلق خاص به وهو مترتب على تصور معين وتعريف معين للفلسفة.

---

(١) تمهيد للفلسفة، د. حمدى زقزوق، ص٦٨.
(٢) المدخل الى الفلسفة: كوليه، ترجمة أبو العلا عفيفى، ص٢٠.

نشأة الفلسفة

أين نشـأت الفلسـفة؟ ومـاهى المصـادر الأولـى التـى اسـتقى منهـا الفكـر الانسانى النظر العقلى؟

لمؤرخى الفلسفة فى ذلك اتجاهان:

<u>الاتجاه الأول:</u>

يرى أنصاره: أن الفلسفة نشأت فى الغرب فى بـلاد اليونـان، وأول مـن قال بذلك هو الفيلسوف اليونانى الشهير (ارسطو) فى القرن الرابع قبل الميلاد.

فقد ذهب الـى أن الفلسـفة إنمـا نبتـت بذورهـا الأولـى علـى يـد (طـاليس الملطى) فى النصف الأول من القرن السادس قبل اليملاد حيث وضـع مذهبـه الفلسفى، وحاول حل مشكلة الكون على ضوء العقل وحده.

وبناء على ذلك فان الفلسفة يونانية الأصل، وهى ترجع الى ماقبل القرن السادس قبل الميلاد[1].

وقد ذهـب الـى هـذا الاتجـاه كثـير مـن مؤرخـى الفلسـفة حيـث قـالوا أن اليونـان وليـس قدمـاء الشـرق هـم الذيـن أنشـأوا الرياضـــة، والعلـم الطبيعـى، والفلسفة، وحجتهم فى ذلك أنه ليس هناك فلسفة شـرقية بـالمعنى الدقيـق لكلمـة "فلسفة" لأن الشرقيين وان نظروا فى المشـاكل الفلسـفية مثـل الوجـود، والخـير والشر، والمبدأ والمصير الا أن آرائهـم فـى ذلـك مصبوغـة بالصبغـة الدينيـة، فهى تستمد عناصرها من الدين أكثر مما تستمدها من الفلسفة.

---

(١) مدخل الى الفلسفة، د. حسن عبد الحميد، ص٤٣.

كما أنهم لم يعتمدوا في آرائهم على التحليل والتعريف والبرهنة العقلية كما هو شأن فلاسفة اليونان.

وأصحاب هذا الاتجاه وان قالوا بنشأة الفلسفة فى اليونان إلا أنهم يعترفون بتأثر الحضارة اليونانية عامة بحضارات الشرق القديم وثقافاته فى مصر والهند وفارس والصين.

الاتجاه الثانى:

أصحاب هذا الاتجاه يرجع بأصل الفلسفة الى ماقبل الحضارة اليونانية، ويرده الى الأمم الشرقية القديمة وأن القول بأن أصل الفلسفة نشأت فى بلاد اليونان، وأن الفلسفة ومناهجها كانت خلقا أصيلا مبتكرا بكل مكوناتها قول مبالغ فيه.

والحق أن الشرق قد سبق الغرب الى النظر العقلى والبحث الفلسفى، بل كان استاذا له، ومعلما وهى حقيقة يعترف بها المنصفون من الغربيون[١].

هذا ويستند أصحاب هذا الاتجاه الى الحجج التالية:

١- أن جميع المسائل الفلسفية أو معظمها قد أثيرت فى الشرق وتناولتها عقول الشرقيين بالبحث والدراسة، فقد نظروا فى أسمى المسائل مثل الوجود والتغير والخير والشر والأصل والمصير، فكان التوحيد والشرك، وكانت الثنائية الفارسية وكانت وحدة الوجود عند الهنود، وغير ذلك، ولاتكاد تخرج الفلسفة عن هذه النظريات الكبرى.

والقول بأن الفلسفة الشرقية لا تستحق اسم الفلسفة لأنها كانت ممزوجة بالدين ليس له ما يبرره، فان من كبار فلاسفة اليونان من لم يسلم من

---

(١) مذكرات فى الفلسفة الشرقية، د. مصطفى حلمى، ص١٠٦، ص١٠٧.

التأثر بالعقائد الدينية والخيال والأساطير كأفلاطون وفيثاغورس، ومع ذلك لم يخرجهم ذلك عن كونهم فلاسفة.

٢- أن كثيرا من فلاسفة اليونان الذين قيل أن الفلسفة نشأت على أيديهم كطاليس وفيثاغورس وديمقريطس قد امو بلاد الشرق القديم ، واتصلوا بثقافتها ونهلوا من معينها باتفاق بين المؤرخين.

وليس أدل على ذلك من أن الفكرة الفلسفية التى قال بها طاليس وهى أن أصل الكون هو الماء بينها وبين أنشودة خلق الكون الدينية عند الكلدانين شبه كبير، فقد صرحت هذه الأنشودة بأن كل شئ فى الكون نشأ من الماء، وبما أن هذه الأنشودة سابقة على نظرية طاليس وأنه قد رحل الى الشرق فيرجع أنه اقتبس فكرته من تلك الأنشودة.

٣- قرر العلماء المشتغلون بالبحث فى الانسان وخواصه والفروق الموجودة بين الشعوب: أن بعض النظريات الاغريقية لايمكن أن تكون اغريقية النشأة، بل لابد أن تكون دخيلة، لأنها تحمل خصائص العقلية الشرقية.

٤- أن الباحثين الأثريين قد عثروا على كلمات: العدالة والفضيلة والنفس والحياة الأخرى فى الشرق قبل وجودها فى الغرب بقرون طويلة[1].

مما سبق نستطيع أن نوضح أن نشأة الفلسفة ترجع الى تحديد مفهوم الفلسفة.

فإذا أريد بها: البحث العقلى الحر المنظم، فهى بهذا المعنى الخاص نشأت فى اليونان، لكن لا على معنى أن الفلسفة اليونانية بكل جزئياتها ابتكار محض وخلق أصيل بل على معنى أن بناء الفلسفة بموضوعها ومناهجها قد اكتمل وانتظم لدى اليونان والا فان جذور الفلسفة تمتد الى الشرق القديم بكل

---

(١) الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب، ص١٦.

تأكيد حيث نبتت بذورها الأولى فى مصر والهند وفارس والصين وغيرها من بلدان الشرق القديم.

وهذا كما يقال مثلا: أن أرسطو هو واضع علم المنطق، فان ذلك لايعنى أن سبقيه لم يستخدموا المنطق فى نظرهم العقلى وانما يعنى أن أرسطو هو الذى جمع المنطق ورتبه وهذبه وجعله علما مستقلا.

أما اذا أريد بالفلسفة معناها العام، وهو كل بحث عقلى فى الطبيعة وماوراءها بقطع النظر عن اختلاطه بالدين أو عدم اختلاطه وامتزاجه بالأساطير أو عدم امتزاجه.

فاذا أردنا بالفلسفة هذا المعنى العام: فان الفلسفة بهذا المعنى نشأت فى الشرق ولايجادل فى هذا الا مكابر أو متعصب.

فائدة الفلسفة

يذهب البعض الى أن للفلسفة غاية وفائدة وان كانت نظرية محضة وغير مادية.

ويذهب البعض الآخر الى أن الفلسفة لافائدة لها لأنها لا تحقق منفعة مادية مباشرة.

وفى حقيقة الأمر أن هناك نوعين من الفائدة أو المنفعة فهناك بالاضافة الى المنفعة المادية منفعة أو فائدة من نوع آخر أرقى وأسمى يجدها المرء لدى العمل العقلى وهى الغذاء الروحى أو العقلى، فاذا أخذنا كلمة الفائدة بالمعنى بالمادى فقط تكون الفلسفة أمرا لاضرورة له، واذا أخذناها بالمعنى الثانى تكون الفلسفة نافعة ومفيدة الى أقصى درجة، وبالتالى تكون أمرا ضروريا لاغنى عنه للانسان فى حياته، يسمو به فوق كل منفعة مادية.

وهكذا تكون الدراسة الفلسفية -كما يقول ديكارت- "ألزم لاصلاح أخلاقنا وهداية سلوكنا فى الحياة من استعمال عيوننا لهداية خطواتنا. والبهائم العجماوات التى لاهم لها الا حفظ جسومها لاتكل عن الدأب والسعى فى طلب أقواتها: أما الناس الذين أهم جزء فيهم هو الذهن فيجب عليهم أن يجعلوا طلب الحكمة همهم الأكبر، لأن الحكمة هى القوت الصحيح للعقول".

فالانسان يجد من نفسه رغبة قوية تدفعه الى البحث والمعرفة وتستبد به نزعة فطرية تحمله على أن يدرك ما حوله وأن يعرف ما ينتظره فى مستقبله، فغاية الانسان من التفلسف أولا هى: (المعرفة) أو (الحق).

وقد يكتفى المرء بتلك المعرفة ويراها غاية فى ذاتها، وقد يطلب المعرفة لتكون وسيلة لعمل يبتغيه من ورائها، فتكون غاية الفلسفة اذا غاية عملية هى أن تكون المعرفة مؤدية الى الخير فوق أنها موصلة الى الحق.

وعلى هذا فغاية الفلسفة اما (نظرية) فقط يكون المراد العلم وادراك الخير واما (نظرية وعملية معا) يكون المقصود بها فوق معرفة الحق ادراك الخير وتوضيح الطريق اليه حتى يسعى الانسان لتحقيقه والوصول اليه.

فالفلسفة فى حقيقتها هى البحث عن الحقيقة وسعى وراء معرفة هذه الحقيقة.

وأخيرا نريد أن نلفت النظر الى أحد الجوانب الهامة التى تدلنا على أهمية الدراسات الفلسفية ومدى ارتباطها بالحياة.

ويتمثل هذا الجانب فى أن فهم التيارات الفكرية المنتشرة فى العالم شرقه وغربه يعتمد على فهم الأفكار الفلسفية التى تشكل الأساس الذى تقوم عليه هذه التيارات.

والانسان لايستطيع أن ينعزل عما يموج حوله من اتجاهات فكرية فى شتى أنحاء العالم اذا أصبحت هذه الاتجاهات تؤثر بطريقة أو بأخرى ان سلبا أو ايجابا- فى كل مكان تقريبا بفضل ما لدى البشرية اليوم من وسائل حديثة متطورة لنقل الأخبار والأفكار.

فاذا أردنا أن نتابع التطور الفكرى الذى يسود العالم، وأن نصل الى مستوى الفهم والادراك لما يدور حولنا فعلينا كدارسين للفلسفة أن نتجه لدراسة جذور هذا التطور الفكرى القائم.

والفلسفة اذ تهتم بذلك فانها لا تقف عند حدود الكشف عن الأسس الفكرية للنظريات القائمة والسابقة، بل عليها أن تعمل باستمرار على الوصول بالانسانية الى المستوى الأمثل وذلك عن طريق التطوير المستمر للأفكار الفلسفية والربط بين الفكرة وتطبيقها، وعلى الأخص فى مجال السلوك[1].

---

(١) تمهيد للفلسفة، د. حمدى زقزوق، ص٣٦.

الفصل الثانى

علاقة الفلسفة بالعلوم الأخرى

- الفلسفة والعلم
- الفلسفة والدين
- الفلسفة وتاريخ الفلسفة

الفلسفة والعلم

منذ العصر القديم كانت الفلسفة والعلم يعنيان شيئا واحدا له غاية واحدة هى البحث عن الحقيقة.

فقد كان مدلول كلمة (علم) مرادفا لمدلول كلمة (فلسفة) فى العصر اليونانى والعصر الوسيط، وتقريبا فى بداية العصر الحديث.

فكانت الفلسفة فى هذه الفترة شاملة لكل العلوم وكان العالم يسمى فيلسوفا والفيلسوف عالما.

والتفرقة بين العلم والفلسفة لم تعرف إلا بالتدرج وقد بدأ ذلك خلال القرن السابع عشر الميلادى على يد رواد البحث العلمى الذين دعوا الى الاعتماد على الملاحظة والتجربة فى كشف أسرار الطبيعة.

ومنذ ذلك الحين بدأت العلوم تنفصل عن شجرة الفلسفة فأستقلت علوم الفلك والرياضة والكيمياء وغيرها كما أستقلت العلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع بموضوعاتها أيضاً، وبعد استقلال العلوم بموضوعاتها ومناهجها أتضح الفرق بين الفلسفة والعلم.

فلا شك إننا نريد بالفلسفة: العلم الذى يستند فى بحثه الى النظر العقلى والتفكير المجرد، ونقصد بالعلم: العلوم التى تستند فى بحثها الى الملاحظة والتجربة وعلى ضوء هذا المعنى نقول:

يتفق العلم والفلسفة فى أن كلا منهما يهدف الى البحث عن الحقيقة وأن كلا منهما ينبغى أن يكون موضوعيا أساسه الحرية العقلية الكافية بحيث لا يخضع الفيلسوف أو العالم فى بحثه لأية سلطة خارجية سياسية أو دينية أو

علمية أو اجتماعية أو قومية أو غيرها، ولا يتأثر فى حكمه بميوله ورغباته، ولكنهما يختلفان من حيث أن مهمة العلم جزئية ووصفية لأن العلم لا يستخدم فى أبحاثه سوى الظواهر الجزئية المشاهدة المحسوسة فهو يقوم بجمع الحقائق المتصلة بموضوع بحثه ثم يأخذ فى وصف هذه الحقائق ويحلل الظواهر، ويعمل على معرفة الأسباب والنتائج ثم يستنبط القوانين العامة.

أما مهمة الفلسفة كلية تعليلية لأن الفلسفة لا تتناول الأشياء فى أجزائها مثل العلم وإنما تتناولها فى مجموعها، إذ أنها تتخذ من الكون كله موضوعاً لبحثها، وتحاول جاهدة توحيد المعرفة.

فإذا كان علم النبات يقصر بحثه على مجال النبات، وعلم الفلك لا يتعدى دراسة أجرام السماء، وعلم طبقات الأرض ينحصر اهتمامه فى طبقات القشرة الأرضية، فإن الفلسفة لا تقنع بهذه الاهتمامات الجزئية، وإنما تسعى جاهدة لتجعل من الكون كله قضية واحدة تكون هى محور درسها، وإذا كانت العلوم تعمل على أن تجمع ألوف الجزئيات فى قانون واحد، فإن الفلسفة تحاول أن تجعل العلوم نفسها خاضعة كلها لقانون واحد.

فالعلم يتناول الكون من ناحية وصفه والفلسفة تتناوله من ناحية معناه فهى تحاول أن تعطى للأشياء قيمة وقدراً، والعلم يفسر الظواهر والفلسفة تحاول الوصول الى الحقائق التى تختفى وراء الظواهر.(١)

مما سبق يتبين لنا مدى اختلاف الفلسفة عن العلوم الجزئية من حيث أن موضوع الفلسفة كلى ونظرتها الى الأمور نظرة كلية شاملة فى حين أن العلوم

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية - د.أحمد أمين ص٦.

الجزئية موضوعاتها جزئية ومعالجتها لهذه الموضوعات تتم في حدود إطارات معينة.

أوجه الاختلاف بين الفلسفة والعلم

بعد ما ثبت لدينا أن كلا من الفلسفة والعلم يختلفان منهجاً وموضوعا يتعين علينا أن نجمل أوجه الاختلاف بين العلم والفلسفة فيما يلى:

١- تنظر الفلسفة الى العالم كله على أنه وحدة واحدة مترابطة تشكل فى مجموعها موضوع بحث الفلسفة، أى أنها لا تتناول بالدراسة والبحث جانباً من العالم دون جانب، فى حين ينحصر دور العلوم الجزئية فى أن كلا منها يعكف على دراسة قطاع معين أو جزء محدد فى هذا العالم.

٢- يبحث العلم عن العلل القريبة التى تحدد لنا ظهور ومسار ظاهرة من الظواهر، أما الفلسفة فإنها تبحث عن العلل الأولى أو البعيدة التى ليس وراءها علل آخرى، أى تلك العلل التى تتعدى نطاق المجال العلمى المحدود.(١)

٣- تتميز الفلسفة بالتجريد، إذ تحاول دائما عدم ربط الفكرة المعينة بجسم من الأجسام، بل تريد أن تصل الى الأفكار الخالصة المجردة أما العلم فهو مرتبط دائماً بالمحسوس.(٢)

٤- العلم يهتم بدراسة ما هو كائن من حيث يصف الظواهر وصفاً تقريريا أى كما هى قائمة فى العالم، بينما هناك طائفة من العلوم الفلسفية التى يطلق عليها اسم العلوم المعيارية كعلم الأخلاق والجمال تبحث فيما

---

(١) الفلسفة ومباحثها د.أبو ريان ص٨٧.

(٢) قصة الفلسفة اليونانية د.أحمد أمين ص٦ ومابعدها.

ينبغى أن يكون، أى تبحث فيما ينبغى أن يكون عليه السلوم الأخلاقى أو العمل الفنى.(١)

٥- يقتضى التفلسف حركة الفكر من الخارج الى الداخل، أى من العالم الى الأنا، أو من الموضوع الى الذات، وهذا يعتبر شرطا أوليا للتفلسف، أما العلم فلا يستلزم بالضرورة مثل هذا الرجوع والعودة الى الذات، فالفكر ينتقل فيه من موضوع الى موضوع ومن ظاهرة الى أخرى.(٢)

هذه أوجه الاختلاف بين الفلسفة والعلم، وقد تحدد من خلالها مجال الدراسات الفلسفية وموضع مشكلاتها بالنسبة لما تبحث فيه العلوم التجريبية.

الفلسفة والدين

إذا كانت الفلسفة تختلف تماما عن العلم من حيث الموضوع والمنهج فهى تتفق تماما مع الدين لأن موضوع الدين هو بعينه موضوع الفلسفة فكلاهما مطلبه كلى.

فإذا كانت الفلسفة تهدف الى معرفة أصل الوجود وغايته ومعرفة سبيل السعادة الإنسانية فى العاجل والآجل، فإن هذين المطلبين اللذين يشكلان موضوع الفلسفة بقسميها النظرى والعملى هما كذلك موضوعا الدين بمعناه الشامل للأصول والفروع.(٣)

وإذا كانت الفلسفة هى الأم التى تفرعت عنها سائر العلوم الجزئية، فإنها من ناحية أخرى قد شبت وترعرعت فى حضن الدين، فقد كان الارتباط بين

---

(١) الفلسفة ومباحثها د.أبو ريان ص٨٨.
(٢) مقدمة فى الفلسفة العامة د.يحيى هويدى ص٣٤ ومابعدها.
(٣) الدين د.محمد دراز ص٥٩.

كل من الديـن والفلسـفة ارتباطـا وثيقـا منـذ القدم، حيث كـان التفكير الفلسـفى ممتزجا بالتفكير الدينى.

وقد لعبت الأسـاطير الدينيـة دورا هامـاً فـى التمهيـد لنشـأة التفكـير الفلسفى.(١)

وقد أدى تطور التفكير الفلسفى الى استقلال الفلسفة عن الدين ولكن هـذا الاستقلال لم يكن استقلالا تاما فالإنسان يمثل وحدة واحـدة، وليـس مـن السـهل التفرقة الحاسمة فى داخل هذه الوحدة بين الفيلسوف والمؤمـن، ووضـع حـدود فاصلة بين هذين المجالين، فكلاهما سيؤثر من غير شـك فـى الآخـر إيجابـا أو سلبا، سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر، بوعى أو بغير وعى، وإذا كانت الفلسفة فىالعصور الحديثة قد استقلت عن كل سـلطة دينيـة فليـس يعنـى ذلك أنها كانت كذلك دائما أو أنها تخلصت تماما من كل مسحة دينية فـإن مـن يغوص فى أعماق كل فلسفة يستطيع أن يتبين فى النهاية ما فيهـا مـن عنـاصر دينية.

وفى الواقع أن الفلسفة قد نشأت فى جانب منها عن الدين، فلا يجوز لنـا أن نسقط من بين المذاهب الفلسفية كل الفلسفات التى امتزج فيها النظر العقلـى بالايمان الدينى، وإذا كانت الفلسفة تتميز بالاعتماد على العقل فإنه لا شـك فـى أن المعتقد الدينى للفيلسوف غالبا ما يتسـلل الـى صميـم تفكيره العقلـى، الأمـر الذى لا يجد مؤرخ الفلسفة أمامه مفرا من الاعتراف بأن تفكير الفيلسـوف قـد صدر فى جانب منه عن أنوار الوحى.

---

(١) تمهيد للفلسفة د.محمود زقزوق ص٩٢.

ولا غرابة فى ذلك، فالفيلسوف إنسان لا يستطيع أن يحرر نفسه تماما من عقيدته أو عاطفته. ولهذا لا نعجب اذا رأينا فى مذهبه العقلى عناصر كثيره ترجع الى الدين أو الى العاطفة.(١)

وهكذا نرى أن الفلسفة لها صلة وثيقة بالدين والمجتمع ولا تعيش فى معزل عنها، فإننا نجد كثيرا من المذاهب الفلسفية قد توصلت بمجهودها العقلى المستقل الى تقرير المبادئ الأولية التى قررتها الأديان(٢)، كذلك أصحاب الدين لم يحاولوا التجرد من الدين فى سبيل البحث الفلسفى بل حاولوا أن يخضعوا الفلسفة للدين ويبرهنوا على صحة الدين بالفلسفة.

فكل من الفلسفة والدين يعتمد على العقل، فالعقل هو طريق الفيلسوف الى معرفة حقائق الأشياء فهو يضع فى اعتباره أن هناك حقيقة موجوده يسعى للبحث عنها وأن يعمل على تحرير عقله وفكره من كل الأحكام السابقة ومن كل الخيالات والأوهام، ومن كل المعارف التى لا تقوم على أساس سليم، فالعقل – كما يقول الغزالى – إذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لا يمكن أن يغلط، بل يرى الأشياء على ما هى عليه.(٣)

والدين لا يمنع من النظر العقلى والبحث الفلسفى بل على العكس من ذلك يحث على النظر ويأمر بالتفكير والبحث فى حقائق الأشياء ويدعو العقول المستنيرة والقلوب الواعية أن ينظروا فى الكون طلبا لمعرفته والتوصل من ذلك الى معرفة خالقه ومبدعه.

---

(١) مشكلة الفلسفة د.زكريا ابراهيم ص١٣٥.
(٢) الدين د.محمد عبد الله دراز ص٦٠.
(٣) مشكاة الأنوار للغزالى تحقيق أبو العلا عفيفى ص٤٧.

فالحقيقة التى يبحث عنها الفيلسوف هى نفسها التى يدعوه اليها الدين فغاية كل من الفلسفة والدين واحدة وهى الوصول الى الحقيقة.

ولكن لابد من معرفة أن هناك فرق دقيق بين الفلسفة والدين وهو أن غاية الفلسفة نظرية، حتى فى قسمها العملى، وغاية الدين عملية حتى فى جانبها النظرى، فأقصى مطالب الفلسفة أن تعرفنا الحق والخير ما هما ؟ وأين هما ؟ .

أما الدين فيعرفنا الحق لا لنعرفه فحسب بل لنؤمن به ونحبه ونمجده، ويعرفنا الواجب لنؤديه ونوفيه، ونكمل نفوسنا بتحقيقه.(١)

فالفلسفة فى كل صورها هى عمل إنسانى يتحكم فيه كل ما فى طبيعة الإنسان من قيود وحدود وتدرج بطئ للوصول الى الحقيقة وقد يصل أحيانا الى جانباً واحداً من الحقيقة، وهذا يفسر لنا وجود العديد من المذاهب الفلسفية لتفسير الحقيقة الواحدة.

بينما الدين هو وضع إلهى يعتمد على الوحى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو معصوم لا يجوز عليه الخطأ وهو يعطينا الحقيقة كاملة ولكنها تظل محل إيمان واعتقاد بينما هى فى الفلسفة محل معرفة.

ووجود هذا الفرق بين الدين والفلسفة لا يعنى وجود تعارض أساسى أو حقيقى بينهما، فالعقل الذى هو أداة الفلسفة هبة من الله للإنسان ليميز به، ويسير مسترشدا بهديه، ومن ناحية أخرى فإن الوحى أيضاً هبه من الله للإنسان لهدايته وإرشاده فى دنياه وآخراه.

---

(١) الدين د.محمد عبد الله دراز ص٧١، ص٧٢.

وإذا كان المصدر واحدا فلا يمكن أن يكون هناك تناقض أو نزاع بين الوحى الذى هو من الله والعقل الذى هو من الله أيضاً والذى يصفه الإمام الغزالى بأنه نموذج من نور الله(١)، فكل من العقل والوحى يكمل الآخر ولا يمكن وضع المسألة على أساس أن الإنسان فى موقف الاختيار بين الدين والفلسفة أو بين الوحى والعقل.

فالإنسان فى حاجة إليهما معا، والدين الصحيح لا يمنع العقل البشرى من التفلسف ومن حقه فى الفهم والتفكير فى ملكوت الله، وإنما يدفعه الى ذلك دفعا.

وإذا كانت الوظيفة التى خلق الله العقل من أجلها هى التأمل والتفكير فإن اعطيل العقل عن أداء هذه الوظيفة يعتبر تعطيلا للحكمة التى أرادها الله من خلق العقل، يقول الله تعالى: ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون**﴾(٢)

ولهذا كانت دعوة القرآن الى الإنسان لاستخدام ملكاته الفكرية حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿**قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض**﴾(٣) - ﴿**أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض**﴾(٤) ﴿**وفى أنفسكم أفى تبصرون**﴾(٥) إلى

---

(١) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت د.محمود زقزوق ص١٧٠.
(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٩٧.
(٣) سورة يونس الأية رقم ١٠١.
(٤) سورة الأعراف الأية رقم ١٨٥.
(٥) سورة الذاريات الأية رقم ٢١.

غير ذلك من الآيات التى تحض على النظر، وتدعو الى التفكير والتدبر والبحث فى الكون، لمعرفته ومعرفة خالقه ومدبره.

وخلاصة القول أن الدين الصحيح لا يعوق الإنسان عن التفلسف بل يدفعه الى ذلك دفعا، فإن الفلسفة الجادة من ناحية أخرى لا تعادى الدين ولا تغفل مسائل الدين أو تتجاهلها.

فالدين حقيقة واقعه، والفلسفة الجادة تضع الحقيقة الواقعة كلها فى اعتبارها، ورمى الفلسفة بأنها تؤدى الى الإلحاد أو الزندقة اتهام لا أساس له، فالفلسفة الصحيحة لا تؤدى الى الإلحاد ولكن الوقوف فى منتصف الطريق التفلسف قد يجرف الإنسان الى تيار خاطئ.(١)

يقول "فرنسيس بيكون" بصدد إتهام معاصريه له بالإلحاد "إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد، ولكن التعمق فيها ينتهى بالعقول إلى الايمان، وذلك لأن عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة، فلا يتابع السير الى ما وراءها، ولكنه إذا أمعن النظر فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها لا يجد بدا من التسليم بالله".(٢)

---

(١) تمهيد للفلسفة د.محمود زقزوق ص٩٨.

(٢) قصة الفلسفة الحديثة د.أحمد أمين جـ١ ص٥٩.

الفلسفة وتاريخ الفلسفة

يختلف تاريخ الفلسفة عن تاريخ سائر العلوم الأخرى اختلافا أساسيا فتاريخ العلوم المختلفة لا يشكل فى العادة جزءاً لا يتجزأ من هذه العلوم، ولكن الحال فى الفلسفة يختلف فهى العلم الوحيد الذى ينطوى فى ذاته على تاريخه الخاص وذلك لأننا لا يمكن ان نفصل الفكر الفلسفى عن بيئته الحضارية والتاريخية، بينما نستطيع فى أى علم آخر أن نفصل بين موضوع العلم وتاريخه.

ففى علم الطبيعة مثلا نستطيع الفصل تماما بين تاريخ هذا العلم وبين ما يدرسه عالم الطبيعة المعاصر من مشكلات، ولكننا فى نطاق الدراسات الفلسفية لا نستطيع أن نفعل مثل هذا فالمشكلة الفلسفية تظل فى جوهرها حيه دائما وتتطلب حلولا مختلفة بحسب تطورات الفكر فى كل عصر من العصور.

ونحن فى تاريخ الفلسفة لا نلقى ضوءاً كبيراً على الواقعة بل نوجه النظر الى الفكرة التى تصاحب الواقع التاريخى لأنها فكرة إنسانية فى جوهرها، وما الفكر الفلسفى إلا حصيلة أفكار البشر خلال التطور التاريخى للإنسانية، والعقل واحد عند البشر جميعا وإنما الاختلاف فى الصياغة وفى طريقة تناول الأفكار وفى الظروف التاريخية والمحلية لكل مجتمع.

وليس معنى هذا أن الفكر الفلسفى تعلوه مسحة من الثبات وعدم التطور، بل العكس هو الصحيح فنحن حينما نعرض لآراء أفلاطون مثلا فى عصرنا هذا فإننا نفهمها بطريقة تختلف بعض الشئ عما فهمه اليونانيون من أفلاطون فى العصر الذى ألف فيه أفلاطون محاوراته، ويدخل فى حساب فهمنا الحاضر للنصوص أفلاطونية ذلك الرصيد الضخم من الثقافة الإنسانية منذ

عصر أفلاطون الى اليوم، وبمعنى آخر نجد أن التطور التاريخى للإنسانية فى مراحلها اللاحقة قد سمح بإلقاء أضواء جديدة على الفكر الأفلاطونى فنراه كما لو كان فكرا يتقدم ويتحرك عبر الزمان.

و هكذا نرى أن تاريخ الفلسفة لا يمكن إهماله أو الاستغناء عنه، فهو جزء من الفلسفة، ولن نستطيع أن نفهم مسألة من مسائل الفلسفة فهما صحيحا، ونحيط بكل جوانبها إلا إذا عرفنا مختلف الآراء التى قيلت فيها وتفهمنا هذه الآراء، وقمنا بتقييمها من حيث الصواب والخطأ.

وإذا كانت العلوم الأخرى تستطيع أن تلجأ الى التجربة لتحسم قضاياها فإن الفلسفة لا يمكنها أن تسلك هذا الطريق لأن قضاياها مجردة يتعذر الرجوع فيها الى الواقع وحسمها بالتجربة.(١)

فتاريخ الفلسفة هو سعى دائب، مخلص وجاد نحو الحقيقة، فهو ليس سجلا لأخطاء العقل وإنما هو سجل تقدمه وسعيه الحثيث المتواصل لمعرفة الحقيقة تحقيقا لذاته وتأكيدا لدوره الطبيعي الذى خلق من أجله.

فتاريخ الفلسفة يطلعنا على أهم آراء وأفكار الفلاسفة فى الماضى والحاضر، وينبئنا بكل ما هو ضرورى عن حياة ومؤلفات ومذاهب هؤلاء المفكرين.

ولا تقتصر مهمة هذا العلم على عرض ما كان، وإنما هو يعمل أيضا على تمهيد الطريق أمام تفهم هذه الآراء والأفكار، وذلك بتوضيح المفاهيم

---

(١) مشكلة الفلسفة د.زكريا إبراهيم ص٢٦٩، الفلسفة ومباحثها د.أبو ريان ص١٨،ص١٩.

والآراء والأفكار المخـــه، شارحا كيف نشأت وما هى التيارات العقلية التى تأثرت بها أو التى اثرت هى فيها.

أما فائدة دراسة تاريخ الفلسفة فإننا بمعرفتنا للآراء الأخرى نتخطى تلك الدائرة الضيقة للمحدوديات الشخصية والزمانية والمكانية، وبذلك نصبح متحررين من الشروط الذاتية الكثيرة ونقترب أكثر فأكثر من تأمل الحقيقة.

ولهذا فنحن فى حاجة الى تاريخ الأفكار لكى نرى مفاهيمنا من الأساس ونفهمها فهما تاما، ومن خلال هذا التاريخ للأفكار يصبح تاريخ الفلسفة نقدا للعقل البشرى على أساس تاريخى، فوسائل هذا العقل وصور معارفه ومفاهيمه واتجاهات الأفكار والمشكلات والدعاوى والافتراضات والنظريات تكشف عن ماهيتها وقدرتها تدريجيا بمرور الزمان.

وإذا ما اشتغلنا بتاريخ الفلسفة فسنكون فى وضع يسمح لنا بالإدراك والفهم التام للمعنى الحقيقى وللقيمة الحقيقية لوسائلنا الفكرية، وهذا يعنى تنقية المفاهيم، ووضع المشكلات وضعاً صحيحاً، وفتح الطريق الى المشكلات ذاتها.

وهكذا فإن عنايتنا واشتغالنا بتاريخ الفلسفة باعتباره تأملا ذاتيا للعقل سيجعلنا أمام فلسفة حقيقية، لأننا نستطيع حينئذ أن نواصل السير نحو الحلول المنهجية الموضوعية للمشكلات الفلسفية ذاتها.(١)

---

(١) تمهيد للفلسفة د.محمود زقزوق ص٨٧،٨٨.

الفصل الثالث

دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى

- التفكير الفلسفى فى الإسلام
- مراحل التفكير الفلسفى فى الإسلام
- عوامل ظهور التفكير الفلسفى فى الإسلام
- أثر الفلسفة الإسلامية على الفكر الإنسانى

التفكير الفلسفى فى الإسلام

تمهيد:

لم يعرف العرب فى جاهليتهم فلسفة بالمعنى الاصطلاحى، وإنما كانت لهم نظرات فلسفية متناثرة فيما خلفوه لنا من نثر وشعر.

ذلك لأن الأمة العربية فى جاهليتها كانت أمة بدوية غير متحضرة، أمية لا تعرف القراءوة والكتابة، متنقلة لا تعرف الإقامة فى مكان ولا الاستقرار تغلب عليهم عيشة القبائل الرحل وهذه القبائل فى نزاع دائم تقوم الثورات بينهم لأقل الأسباب.

ولكنهم مع هذه الحياة البدوية غير المتحضرة كانوا على اتصال بالأمم المجاورة لهم، فلم يعيشوا فى عزلة عن العالم.

فلما جاء الإسلام لم يجد العرب فى سذاجة الجماعات الإنسانية الأولى من الناحية الفكرية ولكنه وجد العرب فى تشعب دينى وبوادر إنبعاث الى نهضة دينية، والقرآن الكريم أصدق مرجع فى تصوير حالة العرب من هذه الناحية حيث جمع القرآن الكريم الأديان التى كان للعرب اتصال بها عندما جاء الإسلام قال تعالى: ﴿**ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد**﴾(١)

أى أن العرب كان منهم يهود ونصارى وكان فيهم صائبة ومجوس وكان فيهم مشركون.

---

(١) سورة الحج آية ١٧.

ومذهب الصابئة أنه يقر بالألوهية ويرى أنه يحتاج فى معرفة الله ومعرفة أوامره وأحكامه الى متوسط، لكن ذلك المتوسط يكون روحانيا لا جسمانيا، ففزعوا الى هياكل الأرواح، وهى الكواكب فهم عبدة الكواكب.

أما المجوس فهم ثنوية أثبتوا للعالم اصلين اثنين مدبرين يقتسمان الخير والشر، يسمون أحدهما النور، والآخر الظلمة.(١)

وأما المشركون، فهم طوائف مختلفة فمنهم من أنكر وجود الله تعالى كما أنكر البعث والنشور ولم يؤمن بهما وقالوا بالطبع المحى والدهر المغنى وهؤلاء أخبر القرآن الكريم عنهم حيث قال: ﴿**وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر**﴾(٢)

ومنهم من آمن بالله وخلقه للسموات والأرض، ولكنه كفر بالبعث وأنكره، وهؤلاء هم أغلب العرب، ولذلك نص القرآن الكريم عليهم ورد على رأيهم، واثبت عقيدة البعث فى كثير من آياته قال تعالى: ﴿**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾(٣) وقال تعالى: ﴿**فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**﴾(٤)

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، ص١٠٢.
(٢) سورة الجاثية آية ١٤.
(٣) سورة يس آية ٧٨-٧٩.
(٤) سورة ق - آية ٢-٣.

وكان من العرب من يعبد الملائكة أو الجن لتشفع لهم الى الله ويزعمون أنها بنات الله وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾(١)

وقال تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾(٢)

وكان بين هذه الأديان والنحل جدال ونزاع وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾(٣)

وكان نتيجة هذا الجدل أنه كان للعرب قبل ظهور الإسلام شئ من النظر العقلى فى بعض النواحى الفلسفية وكان للعرب فى هذه الفترة من تاريخهم شئ من التفكير فيما يتصل بالألوهية والعالم والبعث والحياة الأخرى والملائكة والجن والأرواح، ولهذا كثيرا ما كان يثور الجدل فى هذه المسائل بينهم.

ونستخلص من هذا أن العرب قبل الإسلام وإن كان لديهم نظر عقلى فيما يتصل بما وراء الطبيعة من الألوهية وقدم العالم والبعث والحياة الأخرى إلا أنه لا يمكن أن يسمى علما أو فلسفة وذلك لأن آراؤهم فى الإله والبعث

---

(١) سورة النحل - آية ٥٧.

(٢) سورة الزخرف - آية ١٩.

(٣) سورة البقرة - آية ١١٣.

والمعاد وغير ذلك لم تكن قائمة على أساس فلسفى واضح ولا على أساس منهج محدد المعالم والمقدمات.

مراحل التفكير الفلسفى فى الإسلام

المرحلة الأولى:

وهى من بعثة النبى محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الدولة الأموية عام ٤١هـ ، فقد جاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام داعيا الى الوحدة ناهيا عن الفرقة، وأوضح القرآن الكريم أن يكون الجدال بالحسنى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾**(١) وحذر من المخالفة: **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ﴾**(٢) ولا يباح الجدل فى العقائد إلا للضرورة وفى اضيق الحدود، قال تعالى: **﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن أتبعنى وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾**(٣)

هكذا كان المسلمون من قوة الايمان ما نطلقوا معه الى العمل أكثر من الجدل حول المسائل الدينية وكان مجهودهم كله يتركز فى معرفة وسائل التطبيق أو الأحكام العملية التى ترجع الى العبادات أو المعاملات.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى القرآن الكريم ويفيض به على المؤمنين ويوجههم الى العمل به.

---

(١) سورة القصص - آية ٤٦.
(٢) سورة الأنعام - آية ١٥٩.
(٣) سورة آل عمران - آية ٢٠.

ويروى عن أبى هريرة أنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى أحمر وجهه، ثم قال: أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا ارسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حتى تنازعوا فى هذا الأمر عزمت عليكم ألا تتنازعوا).

ويقول عليه الصلاة والسلام: (تفكروا فى مخلوقات الله ولا تتفكروا فى ذاته فتهلكوا).

فكان المسلمون يتقبلون الدعوة الإسلامية بدون نقاش وبدون جدال وشغلوا بمصدر الدعوة الإسلامية وفهم معنى القرآن الكريم ذلك الكتاب العزيز الذى ملك عليهم كل عواطفهم ومشاعرهم، فانكبوا على فهمه وتدبر معانيه، وعاشوا من أجله.

وكانت قوة الإيمان فى قلوبهم وحرارة العقيدة فى نفوسهم، من الأشياء التى منعت المسلمين من الخلافات العقلية والجدل اللفظى، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعيش بينهم يرجعون اليه فى خلافهم وينتهون إليه فى جدلهم، يأتمرون بأمره، ويقفون عند قوله.

هكذا مضى حال المسلمين مع رسول الله كما أمرهم الله: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**(١)

هذا فى الاعتقاد أما فى التشريع العملى فكان الاجتهاد وتبادل الرأى فى كنف القرآن الكريم والسنة المحمدية عند الفقهاء والمتصوفة. ومصادر الأحكام فى هذه المرحلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس.(٢)

---

(١) سورة الحشر – آية ٧.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، د.مصطفى عبد الرازق، ص١٤٦.

وعندما جاء عصر الخلفاء الراشدين حرص الصحابة على اتباع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاهتمام بالأمور والأحكام العملية والبعد عن الخوض فى القضايا العقيدية.

إلا أنه قد ظهرت بعض الاختلافات بين الصحابة فى الأمور الاجتهادية متصلة بالأحكام العملية كان لها من الخطر ما جعلها أساسا لاختلافات مستمرة بين المسلمين ورفع من شأنها حتى وصلها بأمور العقائد مما كان لها الأثر فى نشأة كثير من الفرق الإسلامية.(١)

ويمكن إيجاز هذه الاختلافات فيما يلى:

١- الخلاف حول الصحيفة وذلك عندما اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من أصحابه: (ائتونى بقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى) فاختلف من حوله: هل يجيئون بقرطاس ليملى عليهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه أم يكتفون بما علموه من كتاب الله وسنة رسوله ؟ وقال عمر بين الخطاب أن النبى قد غيبه الوجع، حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط فى ذلك، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم: (قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع).(٢)

٢- الخلاف فى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال البعض أنه لم يمت ولكنه رفع كما رفع عيسى بن مريم، ولكن استطاع أبو بكر رضى الله عنه أن يحسم هذا الخلاف بقوله:(من كان يعبد محمدا فان محمد قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، الشيخ مصطفى عبد الرازق، ص٢٨٣.

(٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعرى، جـ١، ص٣٥.

أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾(١)

ثم أخذ يذكرهم بقوله تعالى لرسوله: ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾(٢) فانحسم الخلاف وسكنت النفوس.(٣)

٣- الخلاف فى موضع دفن الرسول صلى الله عليه وسلم قال قوم أنه يدفن بمكة لأنها مولده، وبها قبلته، وبها مشاعر الحج، وبها نزل عليه الوحى، وبها قبر جده اسماعيل عليه السلام.

وقال آخرون: إنه ينقل الى بيت المقدس فان به تربة الأنبياء ومشاهدهم صلوات الرحمن عليهم.

وقال أهل المدينة: إنه يدفن فى المدينة لأنها موضع هجرته، وأهلها أهل نصرته، فزال هذا الخلاف ببركة الصديق حين روى أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: "الأنبياء يدفنون حيث يقبضون"، فقبلوا منه روايته ورجعوا الى قوله ودفنوه فى حجرته.(٤)

٤- الخلاف حول قتال مانعى الزكاة وذلك فى عهد أبى بكر وقد امتد أثر هذا الخلاف حتى كان أصلا لما حدث بعد ذلك من خلاف حول العمل وعلاقته بمفهوم الإيمان والإسلام.(٥)

---

(١) سورة آل عمران – آية ١٤٤.

(٢) سورة الزمر – آية ٣٠.

(٣) التبصير فى الدين الاسفراينى، ص١٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٢، ومقالات الإسلاميين الأشعرى، جـ١، ص٣٦.

(٥) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، الشيخ مصطفى عبد الرازق، ص٢٨٤.

٥- ومن أكبر مظاهر الخلاف التى حدثت بعد وفاة الرسول صلى الـه عليه وسلم هو الخلاف حول الخلافة والذى استمر فى عصر الخلفاء وبقى مصدر اضطراب الأمة الإسلامية مما كان له الأثر فى قيام كثير من الفرق الإسلامية.

ويتلخص هذا الخلاف فى أنه عندما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم واجه المسلمون مشكلة من يتولى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

فريق يذهب الى أن الأنصار أحق بالخلافة لأنهم حماة الإسلام ونصراء الرسول والدين، دافعوا عنه فهم أولى الناس أن يخلفوه.

وفريق آخر يرى أن المهاجرين أول من آمن بالرسول وصبروا على الأذى وهم من قريش والعرب لا تدين إلا لهم فهم أولى بالخلافة.

وتكون رأى ثالث وهو أن تكون الخلافة فى بيت النبى وأقرب الناس إليه صلى الله عليه وسلم هو على بن أبى طالب وهو أول الناس إسلاما فهو أولى بالخلافة.

وظلت الآراء الثلاثة تتعارض ولم يمت الرأى القائل بأولوية على فى عهد أبو بكر وعمر ولكن سكن وخمد وساعد على خموده عدل أبى بكر وعمر وزاد فى سكونه اشتغال الناس بالحروب والفتوح فلم يجد المنافقون مجالا يدخلون منه على الناس لإثارة الفتن.(١)

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، الإمام محمد أبو زهرة، جـ١ ص٢٣.

ثم تفجر الخلاف من جديد فى عهد عثمان بن عفان حتى قامت الفتنة الكبرى وكان لحادث التحكيم أثره فى ظهور ثلاث فرق من أكبر الفرق الإسلامية:

١- الشيعة: وهم الذين ناصروا عليا ورأوا أن الخلافة حق له ولأهل بيته دون غيرهم.

٢- الخوارج: وهم الذين خرجوا على "على" ورأوا أن التحكيم مخالف للدين.

٣- المرجئة: وهم الذين آثروا العزلة وأرجئوا الحكم على المتنازعين الى الله.

ومنذ ذلك الوقت ابتدأ التفكير العقلى يظهر عند المسلمين بين هذه الفرق فى مسائل معدودة، ومشاكل محدودة ما لبثت أن اتسع مداها وتفرعت أصولها، هذه المسائل مثل مسألة مرتكب الكبيرة وحكمه عند الله أهو مسلم أم كافر؟ ثم مسألة الايمان والكفر ما حقيقة كل منهما؟ وهل يزيد الايمان وينقص أو لا؟

وأخذ كل فريق منهم يذكر رأيه فى هذه المسائل الدينية، ويحاول أن يجعل القرآن مؤيدا له وفى صفه، فقد حاول كل منهم أن يكتسب مصدر العقيدة، ويجعله سندا له وشاهدا لقوله، ولذلك أخذوا فى تأويل الآيات القرآنية التى تخالف مذهبهم بما يتفق مع الرأى الذى يذهبون اليه، ويقولون به.

المرحلة الثانية:

تبدأ من عهد الدولة الأموية الى نهاية الدولة العباسية.

فى هذه المرحلة تمت الفتوحات فى عهد الدولة الأموية وكان لهذه الدولة صبغة قبلية وعصبية عربية منعتهم من التفكير العقلى والبحث الفلسفى،

والاستفادة من ثقافات الأمم المغلوبة التى كانت مملوكة لهم، وواقعه تحت سيطرتهم، فمع أن هذه الدولة كان يقع تحت سلطانها دول لها ثقافات قديمة وحضارات سابقة كأمة الفرس والروم ولكنها لم تشأ أن تأخذ من ثقافات هذه الأمم شيئا، ولم ترغب أن تستفيد من علومها لأنها كانت لها من الثقافات والعقائد ما يختلف عما جاءت به تعاليم الإسلام، كما كان من أسباب عدم اشتغالهم بالبحث الفلسفى عنايتهم بالعلوم الدينية، وتدوين هذه العلوم، وعنايتهم بالعلوم اللغوية واللغة العربية.

كما عنيت هذه الدولة بالفتوح الإسلامية، وعمل خلفاء بنى أمية على اتساع رقعتها فأرسلوا الجيوش العربية للغزو والفتح شرقا وغربا ففتحوا الهند وبخارى وغيرهما من الدول حتى حدود الصين شرقا وفتحوا شمال أفريقيا وبلاد الأندلس غربا.

غير أنه فى هذا العصر، عصر الدولة الأموية ظهر نزاع كبير فى بعض مسائل العقيدة مثل: مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة القدر، ونسبة الفعل الى قدرة العبد أو غيره، وموضوع الإرادة والاختيار، وهل الانسان مجبور أو مختار؟ وكان الفضل فى اثارة هذه المسائل يرجع الى الخوارج ولكن شيئا من ذلك لم يدون على أنه علم حتى نهاية هذا العصر.

وهكذا كان عهد بنى أمية رغم الفتوحات الكثيرة ورغم حركة الفكر التشريعى – إذ دون الفقه والحديث – عهد اضطراب فكرى فى مجال العقيدة وانشقاق خطير حولها.

وفى أواخر هذا العهد بدأت حركة الترجمة للكتب اليونانية وخاصة كتب العلوم الطبيعية مثل الكيمياء والطب ثم توسعت الترجمة حتى شملت كل العلوم

والفلسفة مما مكن بعض الفرق مثل المعتزلة من تدعيم آرائها بالحجج المنطقية والأدلة الفلسفية فى مواجهة الفرق الأخرى.

وعندما جاءت الدولة العباسية أخذت المعتزلة وأخذ علماؤها مكانتهم فى عهد العباسيين فناصروا هذه الفرقةالتى أقبلت بدورها على فلسفة اليونان ومناهجها العقلية ليشد أزر مبادئها وقد أتيح للفكر الاسلامى فى العهد العباسى مزيد من الاطلاع على هذه الفلسفة بعدما قويت حركة الترجمة وتعددت نواحيها.

يضاف الى ذلك أنه كان لقيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس أثر كبير فى اختلاط المسلمون بالعناصر الأجنبية فتأثروا بثقافتهم وظهرت فى العصر العباسى حركة قوية لنقل التراث الأجنبى الى اللغة العربية، وأهم هذه الثقافات التى عكف النقلة على نقلها الى اللسان العربى أو تأثر بها الوسط الثقافى العربى نتيجة للاحتكاك المباشر: الثقافة اليونانية والفارسية والهندية بالاضافة الى ما تأثرت به هذه الثقافات من أفكار دينية أخرى معاصرة لها سواء جاءت من المسيحية أو اليهودية أو الوثنية.(١)

عوامل ظهور التفكير الفلسفى فى الإسلام

هناك عدة عوامل ساعدت على ظهور التفكير الفلسفى فى الإسلام منها:

أولا : القرآن الكريم:

عندما جاء الإسلام وحد العرب وجعل منهم أمة متماسكة بعد حياة قبلية متفرقة، فجمع شملهم ووحد كلمتهم وكان له أكبر الأثر فى حياتهم الاجتماعية

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام، د.محمد أبو ريان، ص٦١.

والعقلية، حيث صرفهم الى التفكير فى فهم القرآن الكريم ليتدبروا معناه ويعملوا على مقتضاه.

فنظر العرب الى القرآن الكريم فوجدوه لا يحرم النظر العقلى ولا يمنع البحث والتفكير الفلسفى، بل أنه علىالعكس من ذلك يدعو الى النظر ويأمر بالتفكير والبحث فى حقائق الأشياء، فإنه يدعو الى النظر فى ملكوت السموات والأرض، ويطلب من العقول المستنيرة والقلوب الواعية أن يتدبروا حقائق الأشياء وينظروا فى الكون طلبا لمعرفته والتوصل من ذلك الى معرفة خالقه ومبدعه قال تعالى: ﴿**إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**﴾(١)

وقال تعالى: ﴿**أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**﴾(٢) وأيضا قوله تعالى: ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾(٣)

الى غير ذلك من الآيات التى تدعو الى النظر وتدعو الى التفكير والتدبر والبحث فى هذا الكون لمعرفته، ومعرفة خالقه ومدبره.

ثانيا : الفتوحات الإسلامية:

لقد كانت للفتوحات الإسلامية وخضوع الشعوب المختلفة للمسلمين أثر كبير فى نشأة التفكير الفلسفى لدى المسلمين.

---

(١) سورة آل عمران – آية ١٩٠.
(٢) سورة ق – آية ٦-٧.
(٣) سورة الذاريات – آية ٢١.

فقد دخل فى الإسلام كثير من الأمم ولا شك أنـه كـان لديهم حضـارتهم وعلـومهم وفنونهم، كما كانوا يدينون بديانات مختلفة يهودية ونصرانية ومانوية وزرادشتيه وبراهمية وصائبة وغير ذلك.

مما جعل دائرة العلوم والمعارف تتسع أمام المسلمين وظهرت لهم ميادين جديدة فى العلوم والفلسفة، فأصبحت البلاد الإسلامية ساحة تعرض فيها كل الآراء وكل الديانات وتتجادل فيها المذاهب ولاشك أن الجدل يستدعى النظر والتفكير ويثير مسائل جديدة تستدعى الى التأمل فكان ذلك سببا لنشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام.(١)

<u>ثالثا : الترجمـة:</u>

لقد كان للترجمة أثر كبير فى نشأة الفكر الفلسفى لدى المسلمين خاصة فى عهد الدولة العباسية.

ففى أيام العباسيين نشطت الترجمة نشاطا كبيرا واهتموا بنقل العلوم الفلسفية الى اللغة العربية واهتموا بصفة خاصة بعلوم اليونان وفلسفتهم، وأدب الفرس وحكمتهم.

وفى عهد أبى جعفر المنصور فى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) بدأت حركة الترجمة الحقيقية للعلوم الفلسفية، وازدهرت فى عهد المأمون الذى أنشأ دارا للحكمة.

ولم يكن النقل والترجمة مقصورين على علوم اليونان وفلسفتهم ولا على مادة معينة، بل شمل المعارف الفارسية، والهندية وترجم المسلمون ما

---

(١) ضحى الإسلام، د.أحمد أمين، جـ٣، ط٧، ص٨،٧.

كان شائعا من العلم، والطب، والأدب والفلسفة، وترجموا لكثير من فلاسفة اليونان خاصة ارسطو وأفلاطون فقد أعجب المسلمون بهما وترجموا الكثير من مؤلفاتهما لما لها من مكانة خاصة عندهم.

ولم يكن المترجمون مجرد نقله بل كانوا أصحاب رأى فى بعض الأحيان ولذلك تعهدوا هذه العلوم المترجمة ووضعوا لها المقدمات الخاصة التى تشرح أسس العلم الذى يتناولة الكتاب وأكثر من ذلك فقد كان منهم: الأطباء، والرياضيون، والفلكيون وغيرهم.

ورغم كل ذلك إلا أنهم لم يصلوا الى درجة الإبداع فى الفلسفة.

وقد مكثت حركة النقل الى اللغة العربية ثلاثة قرون، من القرن الثانى الهجرى الى القرن الرابع أى من القرن الثامن الميلادى الى القرن العاشر.[١]

وهكذا كانت حركة الترجمة سببا رئيسيا فى نشأة الفكر الفلسفى لدى المسلمين حتى اصبحت للفلسفة الإسلامية كيانا خاصا يميزها عن مذهب أرسطو ومذاهب مفسريه، فان فيها عناصر مستمدة من مذاهب يونانية غير مذهب أرسطو، وفيها عناصر ليست يونانية من الآراء الهندية والفارسية ثم فيها ابتكارات عقلية أهلها ظهرت فى تأليف نسق فلسفى قائم على أساس من مذاهب مختلفة.[٢]

ولعل أهم ما قام به فلاسفة الإسلام وكان مناط ابتكارهم فى الفلسفة هو التوفيق بين الدين والفلسفة.

---

(١) ضحى الإسلام، د.أحمد أمين، جـ١، ط١، ص٢٦٣ الى ص ٢٦٥.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، ص٢٥.

أثر الفلسفة الإسلامية على الفكر الإنسانى

مما لاشك فيه أنه يجب أن نقرر أن الفلسفة الإسلامية حلقة من سلسلة الفكر الإنسانى أخذت وأعطت، تأثرت وأثرت، وربطت الفكر الشرقى بالفكر الغربى، وكانت همزة الوصل بين اليونان واللاتينين.

وكان تأثير العرب فى الغرب عظيما وإليهم يرجع الفضل فى حضارة أوروبا فقد كان تأثيرهم فى تعاليمهم العلمية والأدبية والأخلاقية عظيما ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذى اثره العرب فىالغرب إلا اذا تصور حالة أوروبا فى الزمن الذى دخلت فيه الحضارة العربية اليها، واذا رجعنا الى القرنين التاسع والعاشر للميلاد يوم كانت المدنية الإسلامية فى أسبانيا ظاهرة باهرة نرى أن المراكز العلمية الوحيدة فى عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون.

وكانت الطبقة العالية المستنيرة فى النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت فى ديرهم بنسخ كتب القدماء.(١)

فلا شك من تأثر الفلسفة المسيحية بالفلسفة الإسلامية عندما أخذ اللاتينيون يتصلون بالعرب عن طريق بعوثهم الى صقلية والأندلس أو عن طريق ترجمتهم للكتب العربية، وبدا هذا الأثر واضحا وقويا فى القرن الثالث عشر وامتد صداه فى القرنين التاليين حتى بلغ عصر النهضة.

---

(١) الإسلام والحضارة العربية، جـ١، ص١٩٦-١٩٧ نقلا عن: فلسفة ابن رشد (الوجود والخلود)، د. محمد بيصار.

ويعتبر القرن الثالث عشر بحق العصر الذهبي للفلسفة المدرسية، وقد أمده ابن سينا وابن رشد بمدد وافر فآثار مشاكل جديدة، وبعثا حركة فكرية نشيطة ومتنوعة.

هكذا بعثت الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة المدرسية حياة لم تعرفها من قبل حتى أصبحت الفلسفة المدرسية امتداد طبيعى للفلسفة الإسلامية.

ويرجع أثر الفلسفة الإسلامية الى جانبين:

أحدهما منهجى والآخر موضوعى..

فمن الناحية المنهجية:

فقد نجح فلاسفة الإسلام، وبخاصة ابن رشد فى أن وجهوا نظر اللاتينين الى أرسطو وحملوهم على فهم فلسفته وقد كانوا من قبل يميلون الى أفلاطون، وأصبحت الفلسفة المسيحية مشائية هى الأخرى كالفلسفة الإسلامية.

فهم درسوا أرسطو فى ضوء ابن سينا وابن رشد، ويكاد يدور النشاط الفلسفى للجامعات الأوروبية فى القرن الثالث عشر حول أرسطو وشارحيه ابن سينا وابن رشد.

أما من الناحية الموضوعية:

فقد آثار فلاسفة الإسلام مسائل جديدة مثل الوجود وقدم العالم ونظرية المعرفة والنفس وهى مسائل شغلت الفكر الفلسفى الأوروبى وكانت موضوع كتب ومؤلفات فلاسفة العصور الوسطى والحديثة.(١)

---

(١) فى الفلسفة الإسلامية، منهج تطبيقه، د.ابراهيم مدكور، جـ٢، ص١٧٥.

ولم يقف أثر الفلسفة الإسلامية عند القرن الثالث عشر بل امتد الى القرون التالية وكانت الجامعات الإيطالية القلعة الكبرى التى عم فيها المذهب الرشدى حتى القرن السابع عشر.[١]

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة، د.أحمد أمين، جـ١، ص٢٦.

الباب الثانى

ميادين البحث الفلسفى

الفصل الأول

مبحث الوجـــود

- تمهيـد
- علاقة مبحث الوجود بما بعد الطبيعة
- موضوع الميتافيزيقا عند أرسطو
- الميتافيزيقا عند فلاسفة الإسلام
- تطور مجال الميتافيزيقا
- المذاهب الميتافيزيقية
- المذهب المادى
- المذهب الروحى
- المذهب الث[illegible]ى

مبحث الوجود (الأنطولوجيا)

تمهيد:

المراد بمبحث الوجود هو البحث فى طبيعة الوجود على الإطلاق أى الخاصية المشتركة بين جميع الموجودات والتى بسببها يقال عن الشئ أنه موجود.

ومعنى ذلك أن البحث فى الموجودات لا يتناولها من ناحية صفاتها ومميزاتها وخصائصها المختلفة إنما يتناول معنى واحد فقط هو كون هذه الأشياء موجودة فحسب.

وقد أطلق على هذا المبحث إسم (الأنطولوجيا) فى بداية القرن السابع عشر الميلادى على يد جوكلينيوس فى قاموسه الفلسفى فى ١٦١٣م.(١)

ويرجع مبحث الوجود أو الأنطولوجيا من حيث الموضوع الى الفلسفة الأولى لدى أرسطو التى كان موضوعها النظر فى الموجود بما هو موجود أى مجردا من حيث هو موجود.

وقد كانت الأنطولوجيا مرتبطة لدى أرسطو بالنظر فى موضوع الموجود الأعم "الإلهى" واجب الوجود أى بالعلم الإلهى وكان هذان المبحثان (الأنطولوجيا والعلم الإلهى) يشكلان معاً جوهر فلسفته الأولى التى عرفت فيما بعد باسم الميتافيزيقا.

والميتافيزيقا لفظ يونانى شاع استخدامه بصيغته اليونانية فى اللغات الأوربية الحديثة، ولفظ الميتافيزيقا اذا ما ترجم حرفيا كان معناه (ما بعد الطبيعة).

---

(١) تمهيد للفلسفة، د.محمود زقزوق، ص١٧١.

والواقع أن كلمة ميتافيزيقا ليست من وضع أرسطو نفسه وإنما ظهرت هذه الكلمة فى القرن الأول قبل الميلاد حينما قام المصنف "أندرو نيقوس" بترتيب مؤلفات أرسطو وتصنيفها فلما وصل الى أهم مؤلفات أرسطو التى تتناول البحث فى الأمور العامة وتنظر فى الوجود مطلقا، وضعها بعد كتاب أرسطو فى "علم الطبيعة" وجعل عنوانها عبارة غير محددة معناها "ما بعد الطبيعة" باليونانية ميتافيزيقا، ويقصد بذلك المؤلفات التى تلى "علم الطبيعة" فى ترتيب مؤلفات أرسطو فكان إطلاق هذا الاسم على ذلك النوع من البحث إطلاقا عرضيا.

أما الاسم الذى كان يطلقه أرسطو نفسه فليس هو الميتافيزيقا أو ما بعد الطبيعة بل هو الفلسفة الأولى أو الألهيات أو العلم الإلهى.(١)

وعلى ذلك فكلمة ميتافيزيقا – من حيث نشأتها – ليست إسما لعلم من العلوم بقدر ما هى اسم لكتاب إلا أن استخدام الكلمة تطور بعد ذلك فأصبحت تدل على موضوع البحث لا على مجرد الترتيب أو الدلالة على كتاب.(٢)

علاقة مبحث الوجود بما بعد الطبيعة:

من مؤرخى الفلسفة من وحد بين مبحث الوجود وبين ما بعد الطبيعة باعتبار ان كلا منهما يدرس الوجود على الإطلاق.

ومن المؤرخين من وحد بين ما بعد الطبيعة ونظرية المعرفة باعتبار أن الصلة بين المعرفة والوجود وثيقة لأن البحث فى قدرتنا على معرفة الأشياء يسلمنا الى البحث عن مقومات الوجود وماهية الحقيقة.

---

(١) محاولات فلسفية، د.عثمان أمين، ص١٩،٢٠.

(٢) مدخل الى الميتافيزيقا، د.عزمى إسلام، ص٨.

فلما كانت قوى الإدراك الإنسانى من حواس وعقل تتجه فى أول أمرها الى العالم الخارجى الذى تقتضى حياة الإنسان أن يلائم بين نفسه وبينه فقد نشأ البحث فى الوجود قبل البحث فى مشكلة المعرفة، حين فرغ الإنسان من التأمل فى الموجودات التى تحوطه أخذ يتأمل ذاته ويحاول الكشف عن أسرارها.(١)

هكذا يجعل بعض مؤرخى الفلسفة مبحث الميتافيزيقا مقصوراً على دراسة الوجود وحده فى حين يجعله بعضهم الآخر شاملا لمبحث الوجود ونظرية المعرفة معاً.

وهناك فريق آخر من الباحثين يقسم الميتافيزيقا الى قسمين رئيسين: الميتافيزيقا العامة والتى تعالج الوجود بشكل عام والميتافيزيقا الخاصة والتى تتناول بالدراسة الأنواع المختلفة التى يتم وفقا لها تقسيم الوجود مثل الوجود المادى والوجودى الروحى والوجود المطلق......إلخ.

ومبحث الأنطولوجيا يتساوى عندهم فقط مع الميتافيزيقا العامة والتى تتناول بالدراسة المبادئ العامة للوجود، أما الميتافيزيقا الخاصة فإنها تعالج – فيما يرى كرستيان وولف (١٦٧٩-١٧٥٤) ومن تابعه من الفلاسفة الألمان – العلوم الثلاثة الآتية: علم الكونيات (وهو العلم الذى يهتم بدراسة المبادئ العامة للكون) وعلم النفس، وعلم اللاهوت.(٢)

ومن الواضح أن هذا اسفسيم لا يتعارض مع تقسيم الميتافيزيقا الى مبحث الوجود ومبحث المعرفة، فعلم الألوهية العقلى يبحث فى نوع من الوجود الخالص الكامل أى وجوود الله، وعلم الكونيات يبحث فى وجود العالم

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص٨١،٨٢.

(٢) مدخل الى الفلسفة، د.حسن عبد الحميد، ص٢٩١.

الطبيعى، وعلم النفس الذى يبحث فى وجود الذات فضلا عما يترتب على كل تلك المباحث من مشكلات فرعية.

بهذا المعنى يمكن القول بأن الميتافيزيقا تدرس: الوجود من حيث هو كذلك، كما تدرس معرفتنا بوجود الله وبالكون وبالذات أو النفس وهذا كله لا يتم إلا من خلال نظرية المعرفة.

ولعل ذلك المعنى يزداد وضوحا من توضيح معنى الميتافيزيقا عند أرسطو المؤسس الحقيقى لذلك المبحث من خلال تحليل التعريفات أو الأسماء التى كان أرسطو يطلقها عليها.(١)

موضوع الميتافيزيقا عند أرسطو:

كان أرسطو يطلق على الميتافيزيقا اسم الفلسفة الأولى وذلك لكى يميز بينها وبين الفلسفة الثانية أى الطبيعة أو العلم الطبيعى، والأولية هنا عند أرسطو ليست أولية فعليه، بل هى أولية منطقية، بمعنى أن موضوعها يكون سابقا من الناحية المنطقية على أن موضوع لأى علم من العلوم.

فالعلوم الأخرى تدرس الظواهر المتباينة والموجودات المتعددة، أما الفلسفة الأولى فتدرس معنى الوجود بصفة عامة، بوصفه هو الخاصية التى تعطى للموجودات وجودها، وعلى ذلك فكل العلوم التى تدرس الموجودات إنما تفترض إفتراضا مسبقا ذلك الوجود الخالص، الذى يتمثل فى تلك الموجودات.

---

(١) مدخل الى الميتافيزيقا د.عزمى إسلام، ص١١.

وبما أن الوجود بمعناه الخالص أعم وأشمل منه متمثلا فى موجودات معينة لذا فالميتافيزيقا أسبق من الناحية المنطقية. إلا أننا لا نستطيع دراستها – طبقا لمنهج أرسطو فى التعميم – إلا بعد أن نكون قد درسنا الموجودات التى هى موضوعات العلوم المختلفة.

وهكذا فالوجود – من حيث هو وجود – أولى من الناحية المنطقية، لكنه من حيث الدراسة تال لدراسة العلوم الطبيعية المختلفة.

كذلك أطلق أرسطو على الميتافيزيقا اسم الحكمة على اعتبار أنها هى الهدف الأخير الذى تسعى الى تحقيقه الفلسفة بصفة عامة، أو العلم بوجه عام وذلك لأنها تبحث فى العلل الأولى على إطلاقها.

كما يطلق عليها إسم الفلسفة الإلهية أو (علم الألوهية) لأن أهم مباحثها هو الله بوصفه هو العلة الأولى للوجود أو المحرك الأول له.(١)

وهكذا يمكن تحديد موضوعات الميتافيزيقا عند أرسطو فيما يلى:

* دراسة الوجود من حيث هو كذلك، أى بوصفه مجردا يطلق على كل موجود ولا يقتصر على ماهية بعينها دون أخرى.
* دراسة للواحق الوجود، أى التصورات المرتبطة بمعناه، مثل الجوهر والعرض والعلة والمعلول، والقوة والفعل وغير ذلك.
* دراسة للعلل الأولى وخاصة العلة الأولى للوجود (المحرك الأول).

---

(١) أسس الفلسفة د.توفيق الطويل، ص٨٣.

الخصائص العامة للميتافيزيقا عند أرسطو:

أولا: أنها بمثابةالعلم الأعم، أو هي أعم العلوم، إذ طالما أن العلم عنده إنما يقوم على البحث في العلل والكشف عنها، فمن الأولى أن يسمى العلم الذي يعني بالبحث والكشف عن العلل الأولى أو أعم العلل بالعلم الأعم.

ثانيا: هي أكثر العلوم عند أرسطو يقينا لأنها تبحث عن العلل والمبادئ الأولى، والمبادئ الأولى أعلى الأشياء درجة في اليقين.

ثالثا: هي أكثر العلوم تجريدا لأنها تبحث في أكثر الأشياء بعداً عن الواقع الملموس، سواء كان مفارقا لهذا الواقع ام كان مباطنا محايثا له.

رابعا: كذلك هي أشرف العلوم، لأن موضوعها الأصلي أو النهائي عنده هو أشرف الموضوعات جميعا وهو الله، ولذا كان يسميها أرسطو بالعلم الإلهي.

خامسا: ان الميتافيزيقا عند أرسطو مرتبطة بالفيزيقا (الفيزياء) وذلك لأن فهم الفيزياء عنده يعتبر بمثابة المدخل الحقيقي لفهم ما بعد الطبيعة. إذ بما أن فهم الطبيعة عند أرسطو إنما يتم من خلال معرفة المبادئ العقلية العامة التي تتعلق بالموجودات مثل مبدأ القوة والفعل، ومبدأ الصورة والمادة، ومبدأ السببية بأنواعها. وبما أن الميتافيزيقا هي التي تدرس المبادئ العامة أو الأولى، فمن الطبيعي أن تكون دراسة الفيزياء مدخلا لدراسة ما بعدها.(١)

---

(١) مقدمة في الفلسفة العامة د.يحيى هويدي، ص٣٨٤.

الميتافيزيقا عند فلاسفة الإسلام:

أطلق الكندى على علم ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) اسم الفلسفة الأولى وهو الأسم الذى استعمله أرسطو كما ذكرنا، ولكن الكندى جعل موضوعها "علم الحق الأول" فقال "وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة الأولى، أعنى علم الحق الأول، الذى هو علة كل حق ولذلك يجب أن يكون الفيلسوف التام الأشرف هو المرء المحيط بهذا العلم الأشرف، لأن علم العلة أشرف من علم المعلوم".

وقد سماها الكندى أيضاً (علم الربوبية) إذ قال "علوم الفلسفة ثلاثة: فأولها العلم الرياضى فى التعليم، وهو أوسطها فى الطبع، والثانى علم الطبيعيات وهو أسفلها فى الطبع والثالث علم الربوبية وهو أعلاها فى الطبع".(١)

ولعل نظرة الكندى هذه هى الأصل فيما جرى عليه الفارابى وابن سينا وغيرهما من فلاسفة الإسلام من تسمية الميتافيزيقا باسم "العلم الإلهى".

قال الفارابى "والعلم الإلهى ينقسم الى ثلاثة أجزاء: أحدها يفحص فيه عن الموجودات والأشياء التى تعرض لها بما هى موجودات والثانى يفحص فيه عن مبادئ البراهين فى العلوم النظرية الجزئية وهى التى ينفرد كل علم منها بالنظر فى موجود خاص، مثل المنطق والهندسة والعدد وباقى العلوم الجزئية الأخرى التى تشاكل هذه العلوم، والجزء الثالث يفحص فيه عن الموجودات التى ليست بأجسام ولا فى أجسام".(٢)

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، ص٤٨.

(٢) إحصاء العلوم، الفارابى، ص٩٩.

وقد عرف ابن سينا الميتافيزيقا بأنها "العلم الكلى، وهو العلم الإلهى والعلم الناظر فيما وراء الطبيعة، وموضوعه الموجود المطلق، والمطلوب فيه المبادئ العامة واللواحق العامة".(١)

أما ابن رشد فإنه يسمى هذا العلم بعلم ما بعد الطبيعة، وغرضه عنده "النظر فى الوجود بما هو موجود" وله ثلاثة أقسام: القسم الأول: "ينظر فيه فى الأمور المحسوسة بما هى موجودة، وفى جميع أجناسها التى هى المقولات العشر، وفى جميع اللواحق التى تلحقها" والقسم الثانى "ينظر فيه فى مبادئ الجوهر، وهى الأمور المفارقة، ويعرف أى وجود وجودها، ونسبتها أيضاً الى مبدئها الأول، الذى هو الله"، والقسم الثالث "ينظر فيه فى موضوعات العلوم ومبادئها".

أما مرتبة هذا العلم فى التعليم فبعد العلم الطبيعى، إنما سمى هذا العلم علم ما بعد الطبيعة من مرتبته فى التعليم، وإلا فهو متقدم فى الوجود، ولذلك سمى الفلسفة الأولى.(٢)

مما تقدم يتبين لنا أن تعريفات فلاسفة الإسلام للميتافيزيقا أو الفلسفة الأولى لم تخرج فى جملتها عن التعريفات المشهورة التى ذكرناها لأرسطو.

تطور مجال الميتافيزيقا:

١- كانت الميتافيزيقا بالمعنى الأرسطى أى من حيث هى الفلسفة الأولى تشمل جزءاً كبيراً من مجال الفلسفة بوصفها مرتبطة بالبحث فى معنى الوجود ككل ومتعلقة بالبحث فى الموجود الأول أو العلة الأولى أو الله،

---

(١) النجاة، ابن سينا، ص١٥٨.

(٢) ما بعد الطبيعة، ابن رشد، ص٣-٥.

فضلا عن البحث فى لواحق الوجود: كالقوة والفعل، والسببية، والجوهر وغير ذلك.

٢- ظلت الميتافيزيقا، هى المبحث الأولى فى الفلسفة فى عصورها الوسطى لارتباط الفلسفة بالدين فى تلك العصور، ومحاولة تبريره تبريرا عقليا.

٣- إلا أن مجالها بدأ يضيق منذ عصر النهضة نتيجة للتقدم العلمى التجريبى، والإتجاه الى التفكير فى الطبيعة وظواهرها، لا فيما بعدها، وظلت على هذا النحو طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وخاصة فى الفلسفة الانجليزية عند توماس هوبز وجون لوك.(١)

٤- ثم إزداد مجال الميتافيزيقا ضيقا فىالقرن الثامن عشر بناء على النقد الذى وجه إليها بصفة عامة على يد ديفيد هيوم، والى النقد الذى وجه اليها بمعناها التقليدى على يد كانت.

٥- ثم عادت الميتافيزيقا فازدهرت من جديد فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فى الفلسفة الألمانية وخاصة عند هيجل ومن تبعه من دعاة الهيجلية الجديدة.

٦- لكن مجال الميتافيزيقا عاد يضيق من جديد بناء على النقد التاريخى الذى وجهه إليها أوجست كونت فى القرن التاسع عشر والفلاسفة الوضعيون بوجه عام.

٧- ثم إزداد مجالها ضيقا وتحديدا بعد ظهور الاتجاهات اللاميتافيزيقة فى الفلسفة المعاصرة، متمثلة لدى فلاسفة التحليل المعاصرين، وفلاسفة

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص٨٢،٨٣.

الوضعية المنطقية فى انجلترا وأمريكا، إلا أن ضيق مجال الميتافيزيقا فى القرن العشرين وإزدياد انتشار الاتجاهات اللاميتافيزيقية لم يمنع من ظهور فلسفات قائمة على اسس ميتافيزيقية مثل تلك المتمثلة لدى فلاسفة انجلترا وفلاسفة أمريكا.(١)

---

(١) مدخل الى الميتافيزيقا، د.عزمى إسلام، ص١٦، ١٧، محاولات فلسفية، د.عثمان أمين، ص٢٦ وما بعدها.

المذاهب الميتافيزيقية

توجد هناك عدة مذاهب ميتافيزيقية مختلفة ويرجع سبب اختلافها الى اختلاف الفلاسفة فى فهمهم للوجود وتفسيرهم للطبيعة ويمكننا تقسيم هذه المذاهب الى طائفتين (مذاهب الوحدة، ومذاهب الثنائية والكثرة).

والطائفة الأولى: تفسر جميع الظواهر الكونية وترجعها الى اصل واحد قد يكون المادة، ولا شئ فى الوجود غير المادة، والحياة والحركة وغيرهما مما يظن البعض أنها تشهد بوجود الروح أو العقل ليست فى الواقع إلا وظيفة من وظائف المادة أو صفة من صفاتها، فإذا انحلت المادة توقفت الحركة وانعدمت الحياة. والقائلون بهذا هم أصحاب المذهب المادى.

ومن الفلاسفة من رأى أن الوجود روحى فى طبيعته، وأن ليس فيه غير الروح أو العقل وأن المادة فى كل صورها ليست إلا ظاهره من ظواهر الروح، والقائلون بهذا هم أصحاب المذهب الروحى.

وكلا الفريقين من الماديين والروحيين الذين يفسرون الوجود برده الى اصل واحد هم من أصحاب المذهب الواحدى.[1]

ويعد المذهب الواحدى أو (مذهب الوحدة) من أقدم المذاهب الميتافيزيقية فى تاريخ الفلسفة ويذهب أصحابه الى رد الوجود الى حقيقة واحدة مطلقة، أو الى عنصر أساسى واحد، وقد عرف هذا المذهب عند الفلاسفة الطبيعيين من اليونان فنرى طاليس يرجع جميع الأشياء الى اصل واحد هو الماء يفسر به الحياة والحركة، وأنكسمندر يفسر الوجود بمبدأ واحد هو اللامتناهى،

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص٨٧،٨٨.

وانكسيمانس يرى أن الأصل هو الهواء، وهرقليطس يـرى أن النـار هـى مبدأ الموجودات، أما فيثاغورث رأى أن الأعداد هى مبادئ الموجودات، وأن العالم عدد ونغم وأن الأعداد نماذج تحاكيها الموجودات.

هذا من حيث وحدة المبدأ الذى يفسر به الوجـود، أمـا مـن حيث طبيعة الوجود، فإن بعض المذاهب تقول بوجود أحادى مـادى وبعضهـا الآخـر يقول بوجود أحادى روحى.(١)

ويرجع الفضل الى المدرسة الإيلية فى توجيـه الفلسـفة الـى فكـرة المبـدأ الواحد بطريقة عقلية واضحة، وخاصة عند بارمنيدس وزينون حينما اعتـبروا أن الوحدة هى الصفة الأساسية للوجود، وأن الوجود واحد ثابت مطلـق، وكـذا عند الفلاسـفة الرواقييـن الذيـن اعتـبروا الوجـود كلـه واحـدا مطلقـا ضروريـا، تحكمه قوانين ثابته مطلقة ضرورية.

كما يتمثل هذا المعنى كذلك لدى الفلاسفة المثاليين فـى العصـر الحديـث وخاصة عند هيجـل الـذى ذهـب الـى القـول بوحـدة الوجـود المطلـق أو الـذات المطلقة.(٢)

<u>أما الطائفة الثانية:</u> من المذاهب الميتافيزيقية فهى ترد الظواهر الكونيـة الـى أكـثر مـن واحـد مـن المبـادئ والأصـول، وهـذه المذاهـب إمـا أن تفسـر الوجوود بمبدأين كالمـادة والـروح معـا، وهـذا مـا يعـرف بـالمذهب الثنـائى أو الثنوى، أو أنها تفسر الوجود بأكثر من مبدأين.

---

(١) الفلسفة ومباحثها، د.محمد أبو ريان، ص١٦٩.

(٢) مدخل الى الميتافيزيقا، د.عزمى إسلام، ص٣٤.

والمذاهب التى ترد الموجودات الى أكثر من مبدأ وجودى واحد قد ظهرت أيضاً عند الفلاسفة القدماء فإن أنبادوقليس لم يرد الأشياء الى مادة واحدة كما فعل الأيونيون بل جعل العناصر الأربعة: الماء والهواء والنار والتراب مبادئ للوجود، لا يخرج بعضها من بعض، إذ لكل منها كيفية خاصة: الحار للنار والبارد للهواء والرطب للماء واليابس للتراب، وتحدث الأشياء بإجتماع هذه العناصر وإنفصالها بفعل قوتين يسميهما "المحبة والكراهية" وتتكون الألوهية والنفوس أيضاً من هذه العناصر إلا أنه يغلب على طبائعها الهواء والنار.

أما ديمقريطس ولوقيبوس وأتباعهما فقد فسروا الوجود بأنه مؤلف من ذرات أى أجزاء لا تتجزأ، وهى ذات أعداد لا متناهية ولا تختلف إلا من حيث الشكل، أما انكساغوراس فقد أرجع الأشياء الى مبدأين: هما العقل والمادة ولكنه لم يفسر كيف يفعل العقل فى المادة.

ويمكن اعتبار مذهب أرسطو من مذاهب الكثرة إذ أن الوجود الطبيعى عنده يقوم على مبدأين هما: الهيولى والصورة.

أما ليبنتز من الفلاسفة المحدثين فقد رد الوجود الى عدد غير متناه من الذرات الروحية.(١)

وسوف نعرض فيما يلى لبعض المذاهب الميتافيزيقية وسنقتصر على ثلاث مذاهب رئيسية هى: المذهب المادى والمذهب الروحى والمذهب الثنائى.

---

(١) مدخل الى الميتافيزيقا، د.عزمى إسلام، ص٣٥، والفلسفة ومباحثها، د.محمد أبو ريان، ص١٧٠.

المذهب المادى

يطلق المذهب المادى على صور مختلفة من النظريات الفلسفية لهذا فإنه من الأفضل أن نذكر شيئا إجماليا عنها كلها ثم نحدد من بينها النظريات التى لها علاقة بالميتافيزيقا.

للمذهب المادى صورتين أساسيتين: المذهب المادى النظرى والمذهب المادى العملى، أما العملى فهو يبحث فى الغاية من الأفعال الخلقية، أما المذهب المادى النظرى فنوعان: نوع يضع القواعد للسير عليها فى البحث فى الوجود، ونوع يضع نظرية ميتافيزيقية فى طبيعة الوجود.

فأما الأول فهو يقوم على أن البحث العلمى يجب أن يبدأ دائماً بالمادة ويعتبرها وحدها هى الوجود الحقيقى وأن بها وحدها يمكن تفسير أية حقيقة من الحقائق.

أما النظرية الميتافيزيقية فتظهر فى صورتين: المذهب المادى الواحدى أو الفردى والمذهب الثنائى أو الثنوى وهذا الأخير يقرر وجود نوعين من المادة مادة كثيفة وأخرى لطيفة، مادة يغلب على طبيعتها القصور الذاتى، وأخرى يغلب عليها الحركة، أما المذهب الواحدى فيقول بوجود نوع واحد من المادة له طبيعة واحدة. ولكنه ينقسم الى ثلاثة أقسام بحسب وجهة نظر الفلاسفة فى العقل وصلته بالجسم، فمذهب يعتبر العقل صفة من صفات المادة، ويعرف باسم "المذهب المادى الوصفى" وآخر يعتبر العقل معلولا للمادة ويعرف باسم "المذهب المادى العلى" وثالث يسوى بين الظواهر العقلية

والظواهر المادية بأن يعتبر الأولى فى جوهرها نوعا من الثانية ويعرف باسم المذهب المادى التكافؤى.(١)

ولا يعنينا هنا سوى القسم الميتافيزيقى من المذهب المادى النظرى، وفيما يلى سنتناول بالدراسة والنقد آراء المذهب المادى قديما وحديثا.

أولاً : المذهب المادى القديم:

لقد بدت النزعة المادية قديما فى المحاولات الأولى التى أراد بها فلاسفة اليونان الطبيعيين أن يفسروا الوجود برده الى الماء أو الهواء أو الذرة أو غير ذلك إلا أن أول مذهب مادى فى تاريخ الفلسفة كان عند "ديمقريطس" والذى عرف باسم (المذهب الذرى).

ويقوم هذا المذهب على أن الوجود يتكون من عدد غير متناه من الذرات أو الجواهر الفرده متلاصقة غاية فى الدقة بحيث لا تكاد تحس وتتصف هذه الذرات بعدة صفات فهى أزلية أبدية وهى متحركة بذاتها فى خلاء غير متناه وغير منقسمة أو متجزئه وإنما هى امتداد فحسب أو ملاء غير مقسم، ولا توصف بأية كيفية من الكيفيات المحسوسة كالحرارة والبرودة واللون والطعم والرائحة.

ولا تتميز الذرات إلا بالشكل والمقدار، أما الشكل فلأن منها المستدير والمجوف والمحدب والمقعر والأملس والخشن ونحو ذلك.

وأما المقدار فلأنه متفاوت رغم خلوه عن الثقل وعدم انقسامة ونتيجة لاختلاف الذرات شكلا ومقدارا، ينشأ خلاء فاصل بينها هو متميز أيضاً بالمقدار والشكل.

---

(١) المدخل الى الفلسفة كوليه د.أبو العلا عفيفى ص١٦٢،١٦٣، تمهيد للفلسفة د.محمود زقزوق ص١٧٩.

أما نشأة الموجودات وفسادها فإن ذلك يحدث بواسطة الحركة الذاتية فى هذه الذرات، إذ ينشأ عن حركتها فى الخلاء غير المتناهى أن تجتمع هذه الذرات وتأتلف ائتلافا فى مجموعات هى الموجودات المحسوسة، ثم تفترق فيكون فسادها وعدمها فوجود الكائنات وعدمها ينشأ عن اجتماع الذرات وافتراقها الناشئين عن الحركة، وهكذا يستمر الوجود والعدم الى غير نهاية.

أما تنوع الموجودات واختلاف فى صفاتها فيفسره ديمقريطس باختلاف الجواهر المؤلفة لها فى الشكل والمقدار.

أما النفس فهى مادية تتألف من أدق الذرات وأسرعها حركة وهى الذرات المستديرة التى تتكون منها النار ألطف المركبات وأكثرها تحركا، والنفس مبدأ الحياة والحركة، إذ يدفع الهواء تلك الذرات اللطيفة النارية المنبثة فيه الى الأجسام فتنتشر فيها وتتجدد بالتنفس فى كل لحظة فتدوم الحياة والحركة بدوام التنفس.(١)

ومن الطبيعى كنتيجة منطقية لهذا المذهب أن يكون الإنسان مادياً بكل مكوناته فلا وجود للروح المخالف لهذا الجسم المادى فى طبيعته.

وقد تابع ديمقريطس فى مذهبه هذا "أبيقور" فى القرن الثالث ق.م وتابع أبيقور الفليلسوف الرومانى "لوكريس" فى القرن الأول قبل الميلاد وعرض المذهب شعرا فى كتاب سماه "طبيعة الأشياء".(٢)

إلا أن ديمقريطس يعتبر المؤسس الحقيقى للمذهب المادى لأن فلسفته تمثل الأساس الذى قام عليه الاتجاه المادى الحديث.

---

(١) أسس الفلسفة د.توفيق الطويل ص٨٩، الفلسفة باحثها د./محمد أبو ريان ص١٧٣، تمهيد للفلسفة د.محمود زقزوق ص١٨١.

(٢) الفلسفة ومباحثها د.محمد أبو ريان ص١٧٤.

نقد مذهب ديمقريطس:

ذهب ديمقريطس الى أن المادة (الذرات) هى المكـون الأساسـى للوجـود ولكن الوجود غير محكوم بأى عقل أو أية علل غائيه، وان كل شئ إنما يحـدث بواسطة عمليـات ماديـة صرفـة وهـذا هـو معنـى الآليـة عندهـم أو مـا يسـمى بالمادية الآلية.

ولكن هل استطاع ديمقريطس الوصول الى إدراك سليم وتفسـير معقـول للوجود؟.

فى الواقع أن ديمقريطس ذهب الـى أن الموجـودات تتـألف مـن الـذرات ولكنه لم يوضح لنا المصدر الأصلى لهذه الذرات، فقد أغفل ديمقريطـس العلـة الأولى لوجود هذه الذرات.

ومما لا شك فيـه أن فكـرة ديمقريطـس فـى تفسـير كـل العـالم وحوادثـه (بتصادم الذرات فى الخلاء) كـانت فكـرة جديـدة تمامـا وخاصـة فـى عصـره، ولكـن هـذه الفكـرة تعتبر نظـرة محـدودة وغـير كافيـة فـى مجـال البحـوث الميتافيزيقية، إذ أنها تترك أغلب المسائل الفلسفية وأكثرها أهمية بـدون إجابـة، وحتـى المسـائل المتعلقـة بالمـادة أيضاً إن معرفـة أن كـل الأشـياء تتـألف مـن الذرات لا تعفى من السؤال عن المصدر الأصلى للذرات وبنائها.(١)

يضـاف الـى ذلـك أن قـول ديمقريطـس أن الـذرات متفاوتـة فـى المقـدار والحجم مع جعلها متساوية فى عدم الانقسام فيه تناقض فالقول بتفـاوت الـذرات حجما يتناقض مع نفيه انقسامها، وقد اثبت علـم الطبيعـة الحديـث أن الـذرات ليست غير منقسمه كما ذهب ديمقريطس.

---

(١) تمهيد للفلسفة د.محمود زقزوق ص١٨٥.

وقد أعتقد ديمقريطس أنه قد استطاع تفسير كثرة الموجودات فى العالم من خلال تصادم الذرات مع بعضها فى الخلاء فهو يكون مجموعات من الذرات متماثلة الأشكال وبذلك يكون الكون للأشياء، ثم عندما تنحل هذه المجموعات مرة أخرى يكون الفساد أو الفناء.

ولكن ذلك لا يبين إلا جانبا واحداً فقط من بين جوانب كثيرة ممكنة، وبذلك لم يفسر العالم ككل فى كثرته كلها فى واقع الأمر تفسيراً كافياً فهو لم يوضح إيجاد علة كافيه لكل الظواهر.(١)

ومن ذلك يتضح لنا مدى قصور نظرة هذا المذهب عن الوصول الى إدراك سليم وتفسير معقول للوجود.

لذلك يعتبر مذهب ديمقريطس فى جوهره هو المذهب المادى الالحادى فى كل عصر إذ أنه لا يثبت إلا المحسوس أو المادة وينكر ما وراء الطبيعة ويفسر نشأة العالم وتكون الموجودات بالحركة الذاتية فى المادة فهو ينفى الفاعل الموجد والمنظم للمادة وحركتها وللعالم بكل جزئياته، ومن ثم فهو ينكر الغاية والحكمة من وجود الكون والانسان، فعالمه عالم اتفاق ومصادفة ويوصف ديمقريطس وأمثاله عند فلاسفة الإسلام بالدهريين، ويقول عنهم الإمام الغزالى بحق أنهم "جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان وكذلك يكون ابداً".(٢)

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٦.

(٢) الفلسفة والحقيقة للإمام الغزالى، ص٤٣، ٤٤.

المذهب المادى الحديث:

وإذا كان ديمقريطس يعد بحق الممثل الحقيقى للنزعة المادية الآلية فى العصر القديم فإن "توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩) الفيلسوف الانجليزى يعتبر أكثر ممثل للمادية فى العصر الحديث، فهو يرد الموجودات كلها الى المادة، والتغير على الاختلاف أنواعه الى الحركة، فهو يرى أن المادة وحركاتها هى الحقيقة المطلقة فى الوجود، فالمادة هى الجوهر الأول الذى تألف منه الأشياء بفعل الحركة، وحتى عمليات الذهن العقلية إن هى إلا حركات فى المخ والقلب والأعضاء الأخرى.(١)

وكل حدث حقيقى يحدث فى العالم إنما هو نوع من الحركة، بل أن الإحساسات والأفكار ليست سوى حركات داخلية فى جسم حى.

ويعتبر هوبز أحد الرواد الكبار الذين مهدوا للمذهب المادى فى العصر الحديث.

وقد تطورت المادية الحديثة وبوجه خاص فى فلسفة عصر التنوير فى فرنسا فقد احتلت المادية الفرنسية فى القرن الثامن عشر مكانه خاصة فى الفلسفة المادية لتلك الفترة.(٢)

وقد شاهد القرن التاسع عشر حركة إحياء للمذهب المادى حتى أصبحت هى فلسفة العصر السائدة، ويمكن أن يطلق على مادية القرن التاسع عشر اسم مادية العلوم الطبيعية، لأنها كانت تستند على هذه العلوم التى كانت قد تطورت تطوراً كبيراً، وهكذا كانت مادية القرن التاسع عشر تعتمد اما على نتائج علم الطبيعة والكيمياء أو على نتائج علم الأحياء.(٣)

---

(١) الفلسفة ومباحثها د.محمد أبو ريان ص١٧٤.
(٢) المدخل الى الفلسفة كوليه د.أبو العلا عفيفى ص١٦٤،١٦٥.
(٣) تمهيد للفلسفة د.محمود زقزوق ص١٩٧.

وقد ظهر الاتجاه المادى عند بعض الفلاسفة المعاصرين وخاصة فلاسفة المادية الجدلية الذين صبغوا فلسفتهم المادية بالخاصية الجدلية اشتقاقا من معنى الجدل عند "هيجل"، وهم بهذا يتجاوزون القول بالمادية الآلية الى القول بحركة أكثر تعقيدا من تلك الآلية وهى الجدلية.(١)

نقد المذهب المادى الحديث:

لقد حاول فلاسفة المذهب المادى الحديث أن يستبعدوا كل علة غائية عند تفسيرهم للكون كله، وأن يستبقوا العلل الفاعلية فقط، ولكن العلة المادية الآلية ليست كافية، فهناك حوادث لا تتحقق لأن العلة الغائية تصبح ذات أثر فعال.

والخطأ الذى وقع فيه الفلاسفةالماديون هم أنهم اعتبروا المادة حقيقة واقعة ظاهرة وليست مجرد فكرة، ويجعلون المادة مركزا لجميع القوى التى تؤثر فى حواسنا.

والواقع أن المادية عاجزة كل العجز عن تفسير أبسط العمليات العقلية، فليس فى وسعها أن تفسر تفسيرا معقولا كيف يصدر الإحساس عن الحركة، والتفكير عن المخ وغير هذا من مزاعمها.(٢)

هذا ويمكن القول أن المذهب المادى الحديث الذى انتشر فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد بدأ يتراجع بوضوح فى عصرنا الحالى أو أخذ صورة أخرى فى القرن العشرين تتمثل فى المادية الجدلية.

---

(١) مدخل الى الميتافيزيقا د.عزمى إسلام ص٣٨.

(٢) أسس الفلسفة د.توفيق الطويل ص٩٣.

المذهب الروحي

يعتبر المذهب الروحـي هـو المذهب المقـابل للمذهب المـادى وقـد نشـأ المذهب الروحى فى الفلسفة بعد المذهب المادى، لأن العقل يتجه بطبيعتـه الـى المحسـوس أولا ولكنـه سرعان مـا يتجـاوزه الـى البحـث فيمـا وراءه لكشـف المجهول من أسراره.

ويختلف المذهب الروحى عن المذهب المادى فى تفسـير الوجـود فبينمـا يفسر المذهـب المـادى الوجود تفسيراً مادياً يفسـر المذهـب الروحـى الوجـود تفسيرا روحيا، ويرى أن الظواهر المحسوسة ليست هى الحقيقة المطلقـة، وأن الطبيعـة الحقيقيـة للوجـود والتى تفسر هـذه الظواهـر الحسـية هـى الـروح أو العقل.(١)

ويمكن القول بأن المذهب الروحـى قـد بـدت بـذوره الأولـى فـى فلسـفة أفلاطون وخاصة فى نظرية المثل فقد اعتقد أفلاطون بوجود عالم معقـول هـو مثال للعالم المحسوس وأصله هذا العالم المعقول هو عالم المثل.

والمثل عند أفلاطـون هـى موجـودات حقيقيـة ذات طبيعـة عقليـة، أمـا الموجودات المحسوسة فمـا هـى إلا أشـباح وأشـباه لتلك المثـل التـى ليـس لهـا وجود فى هذا العالم المحسوس بل أن وجودها يكون فى عالم آخر هو عالمها - عالم المثل - وهو عالم معقول لا محسوس، ومن ثم فهى لا يمكـن إدراكها إلا بالعقل وحده.(٢)

إلا أن المذهب الروحى اتضحت معالمه فى فلسـفة "ليبنتز" الـذى يعتـبر المؤسس الحقيقى للمذهب الروحي.

---

(١) أسس الفلسفة د.توفيق الطويل ص٩١.

(٢) الفلسفة ومباحثها د.أبو ريان ص١٨٣.

ذهب "ليبنتز" " أن الموجودات تتألف من ذرات روحية يرجع إليها هذا الوجود وأطلق عليها اسم (المونادات) ومعناها الأجزاء التى لا تتجزأ ومن أجل ذلك فهى لا تقبل التجزئة بالفعل ولا فى الذهن، ولا تتعرض للفناء وتنزع دائما الى ... والحركة وتتميز بأنها بسيطة لا شكل لها ولا مقدار، وبها تتكون الأشياء، يوجدها خالق فتصدر ...ه كما يصدر النور عن الشمس، وهى مدركة وإن كان إدراكها يتفاوت قوة وضعفا تبعا لتدرج الموجودات وهى كلها صادرة عن (الموناد الأكبر) وهو اللـه، ومن ثم لا يكون للعالم الخارجى أو المادة فى كل صورها وجود بذاتها.(١)

هذا هو مجمل مذهب ليبنتز الروحى القائم على رد الوجود الى الروح إلا أن المذهب الروحى بصفة عامة وبصورته القديمة لا يمكن أن يفسر طبيعة الوجود بالروح وحدها كما أن المذهب المادى عاجز عن تفسير هذا الوجود بالمادة وحدها.

وإذا قارنا الفكرة الرئيسية فى المذهب الروحى بنظيرتها فى المذهب المادى، وجدنا الأولى ابسط بكثير من الثانية فالمذهب الروحى يرد جميع الظواهر التى ندركها فى تجاربنا - أى الظواهر المادية والجسمية على الأخص - الى ظواهر عقلية، بمعنى أن يعتبر مصدرها وجودا عقليا أو حياة عقلية، أما نوع ذلك الوجود العقلى أو هذه الحياة العقلية، فلا نعرفه إلا بالقياس الى حياتنا العقلية، فنتصوره على أنه مظهر لحياة عقلية أو حياة روحية شخصية تختلف قليلاً أو كثيراً فى كمالها الروحى.(٢)

ومن أجل هذا لم ترد أعتراضات على المذهب الروحى.

---

(١) أسس الفلسفة د.توفيق الطويل ص٩٢.

(٢) المدخل الى الفلسفة كوليه ترجمة د. أبو العلا عفيفى ص١٨٣.

المذهب الثنائي

يعد هذا المذهب اتجاه ثالث يوفق بين موقف الفلاسفة الماديين من جانب وموقف الفلاسفة الروحيين من جانب آخر، وهو فى الوقت ذاته الإتجاه الأكثر شيوعا فى الفلسفة بصفة عامة.

ويذهب دعاة هذا الاتجاه الى أن أصل الوجود فى حقيقته يرجع الى أصلين مختلفين تمام الاختلاف هما الروح والمادة.

وقد نشأ هذا المذهب مبكراً فى تاريخ الفكر الفلسفى، ويعتبر "إنكساغوراس" - من الفلاسفة القدماء - هو المؤسس لمذهب الثنائى، فقد وضع حدا فاصلا بين العقل والمادة التى تتألف من ذرات لا نهاية لعددها.

ووجود الكائنات يتم عن طريق الحركة وليست هذه الحركة ذاتية فى المادة وإنما هى بفعل فاعل خارج عن المادة هو العقل، ويصفه انكساغوراس بأنه الطف الأشياء وأصفاها، بسيط مفارق للطبائع كلها، عليم بكل شئ قدير على كل شئ، متحرك بذاته، فهذا العقل هو العلة المحركة والمنظمة للموجودات.(١)

وقول انكساغوراس بعقل خارج عن المادة له أهميته فى تاريخ الفلسفة فقد كان بذلك أول من فصل بين العقل والمادة ووجه أنظار الفلاسفة بعده الى الثنائية.

كما بدت الثنائية قديما عند أرسطو فى قوله بالهيولى والصورة اللتين يتكون منهما معا كل موجود، فالهيولى هى العنصر المادى أو العلة المادية

---

(١) أضواء على الفلسفة اليونانية د.صلاح عبد العليم ص٨٤.

القابلة للصورة، والصورة هى العنصر غير المادى الذى تقبله الهيولى، والعلاقة بين الهيولى والصورة هى العلاقة بين ما هو ممكن الوجود وما هو متحقق الوجود أو بين الموجود بالقوة والموجود بالفعل

وقد ظهرت الثنائية فى الفلسفة الحديثة عند "ديكارت" الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للمذهب الثنائى.

فقد ذهب الى القول بوجود عنصرين أساسين للوجود هما المادة والعقل، والشئ المادى عنده هو ما كان فيه صفة الامتداد، والعقلى ما كان فيه صفة التفكير، وهذان العنصران – المادة والعقل – مختلفان أشد ما يكون الاختلاف، فيستحيل أن تتصف الأجسام بصفة الفكر، كما يستحيل أن يتصف العقل بصفة الامتداد، وهكذا شطر ديكارت الوجود الى شطرين لا تجد الوحدة إليها من سبيل، فهو اثنينى متطرف.(١)

ورغم أن كلا من هذين النوعين مستقل فى وجوده عن الآخر إلا أن الصلة بينهما مشتركة متبادلة ولا يستطيع ديكارت أن ينكر ما نشاهده من ارتباط عقل الانسان وجسمه ارتباطا يجعل منهما وحده متماسكة متصلة، فكيف يمكن التوفيق بين مذهبه وبين ما نشاهده ؟!

فى الواقع أن ديكارت لم يستطع أن يفسر لنا كيف يمكن الاتصال بين هذين الجوهرين المختلفين اختلافاً تاما إلا أنه استطاع ان يتغلب على هذه الثنائية فى نهاية الأمر بفضل مفهومه للخلق، يقول ديكارت أن العلاقة التى نراها فى الإنسان بين العقل والجسم لا يمكن أن تعلل بشئ من طبيعتيهما لأنهما ضدان متناقضان، فلم يبق إلا أن يكون اتحادهما هذا حقيقة خارقة

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، ص١٠٧.

أرادها الله على الرغم من أنها لا تتفق مع طبائع الأشياء، فالله قد خلق العقل وخلق المادة ووفق بينهما، ومن أجل ذلك فهو مصدر كل الحقيقة الواقعة.(١)

لذلك يرجع الفضل لديكارت فـى أنـه لفت أنظـار الفلاسـفة الـى محاولـة التغلب على هذه الثنائية بإيجاد علاقة بين شيئين مختلفين تمـام الاختـلاف ممـا أدى الى التسليم بالعلة الحقيقية التى هى الله.

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، جـ١، ص١٢٠.

الفصل الثانى

مبحـــث المعرفـــــة

- طبيعة المعرفــة
- مصادر المعرفة
- امكـان المعرفـة

طبيعة المعرفة

- تمهيد
- طبيعة المعرفة

أولا: المذهب الواقعى:

- الواقعية الساذجة
- الواقعية النقدية

ثانيا: المذهب المثالى:

- المثالية الذاتية
- المثالية الموضوعية
- المثالية النقدية

مبحث المعرفـــة

تمهيـد:

يعتبر مبحث المعرفة من أهم المباحث الفلسفية عند كل الفلاسفة وخاصة المحدثين منهم، وقد سبقت الإشارة الى أن معظم الفلاسفة يوحدون بين الأنطولوجيا والإبستمولوجيا(١) أن يخلطون بين مباحث الوجود والمعرفة ويجعلون الابستمولوجيا فرعا للميتافيزيقا، ومن ثم فإن أسلوب معرفتنا للوجود أو الحقيقة لا ينفصل عن موضوعه.

ونحن إذا تتبعنا تاريخ الفكر الفلسفى نجد أن البحوث الفلسفية للفلاسفة الأوائل فى عصر ما قبل سقراط كانت معنية أساساً بالبحث فى الوجود الخارجى بهدف الكشف عن الحقيقة فيه، ولم تتجه عنايتهم الى البحث فى صدق وسائل المعرفة وحدود إمكانياتها، فقد وضعوا ثقتهم فى قدرة العقل الإنسانى على المعرفة، وأقاموا نظامهم الفلسفى بدون أن يفكروا فى مشكلة المعرفة حتى جاء السوفسطائيون فكانوا أول من لفت الأنظار الى هذه المشكلة وأول من وجه النظر الى مباحث المعرفة وحدودها.

مجال مبحث المعرفة:

احتلت البحوث فى المعرفة جزءاً كبيراً فى كل فلسفة لكن هذه البحوث ظلت مختلطة بغيرها من البحوث الفلسفية فلم يكن لمبحث المعرفة وجود مستقل عند القدماء، فإن إفلاطون قد أدخل بحوث المعرفة فيما سماه بالجدل، وأدخلها أرسطو فى دراساته فى "مابعد الطبيعة"، من غير أن يضعا حدا فاصلا بين ماله اتصال بالمعرفة وما له اتصال بمشكلات "ما بعد الطبيعة"،

---

(١) يطلق هذا اللفظ فى اللغة الانجليزية للدلالة على نظرية المعرفة، مدخل الى الفلسفة، د.حسن عبد الحميد، ص٢٢١.

ولا بين بحوث المعرفة والبحوث المنطقية البحتة، أما أهم مسائل المعرفة التى أثارها القدماء فتتركز حول العالم الحقيقى واليقينى المسلم به تسليما مطلقا.(١)

هكذا ظلت بحوث المعرفة مختلطة بغيرها الى أن جاء العصر الحديث وأفرد لها مكانا خاصا ومستقلا فى مباحث الفلسفة.

ويعتبر "جون لوك" الفيلسوف الانجليزى المؤسس الحقيقى لنظرية المعرفة حيث وضع هذا البحث الخاص بالمعرفة فى صورة العلم المستقل، ويعتبر كتابه "مقالة فى العقل البشرى" الذى صدر عام ١٦٩٠م أول بحث علمى منظم فى أصل المعرفة وماهيتها وحدودها ودرجة اليقين بها.(٢)

ويتناول مجال البحث فى نظرية المعرفة ثلاث موضوعات رئيسية هى:

١- البحث فى طبيعة المعرفة وتفسير ماهيتها.

٢- البحث فى مصادر المعرفة ووسائلها.

٣- البحث فى إمكان المعرفة وحدودها.

---

(١) المدخل الى الفلسفة كوليه، ترجمة أبو العلا عفيفى ص٣٠.

(٢) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين جـ١ ص٢٠١.

طبيعة المعرفة

أهتم الفلاسفة بالبحث فى طبيعة المعرفة الإنسانية وحقيقتها وكيفية العلم بحقيقة الأشياء، أى كيفية اتصال قوى الإدراك بالشئ المدرك، وعلاقة الأشياء المدركة بالقوى التى تدركها.

فهذا البحث يتناول معرفة الأشياء الحقيقية وهل لها وجود مستقلا عن العقل أم أن وجود الأشياء هو فى أصل طبيعته شئ عقلى.

إنقسمت المذاهب الفلسفية فى تفسير ذلك الى مذهبين أساسيين هما:

١- المذهب الواقعى.

٢- المذهب المثالى.

وفيما يلى عرض موجز لكل منهما:

<u>أولا : المذهب الواقعى:</u>

يذهب أصحاب المذهب الواقعى الى أن للأشياء الخارجية وجودا عينيا مستقلا عن العقل وعن جميع أفكار وأحوال العقل، والمعرفة هى صورة مطابقة لحقائق الأشياء فى العالم الخارجى، فليس العالم الخارجى - كما هو مدرك فى عقولنا - إلا صورة لهذا العالم الموجود فى الواقع، والعلاقة التى تقوم بين الأشياء الخارجية وأفكارنا التى تمثلها فى عقولنا علاقة مشابهة وتطابق، فالمعرفة عند الواقعيين إدراك عقلى أو حسى مطابق للأعيان فى الخارج أو هى انعكاس العالم الخارجى على العقل.(١)

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٤٠.

وينقسم الواقعيون الى مذهبين:

١- مذهب الواقعية الساذجة الذى يرى أن الأشياء الخارجية هى فى حقيقتها كما ندركها بالحس.

٢- مذهب الواقعية النقدية الذى يرى أن حقائق الأشياء هى التى ندركها بالحس ولكن هذه الحقائق لابد أن تخضع للفحص فى ضوء ما نعلم من قوانين العلوم الطبيعية.(١)

وسوف نتناول كل مذهب على حده.

١- <u>الواقعية الساذجة:</u>

تذهب الواقعية الساذجة الى اعتبار الحقائق الخارجية أصلا، واعتبار أفكارنا عن هذه الحقائق صورة مطابقة لها وبهذا تتحدد العلاقة بين الحقائق الخارجية وبين أفكارنا عنها على أنها علاقة مشابهة أو مماثلة.(٢)

فالمعرفة إذن هى عبارة عن صورة مطابقة لحقائق الأشياء كما هى فى العالم الخارجى، أو هى: تصوير دقيق لما هو واقع فى الخارج بدون زيادة أو نقصان، فالإنسان العارف هنا مثله مثل آلة التصوير التى تقوم بالتقاط صورة متطابقة مع الأصل تطابقا تاما.

فالشئ المصور موجود سواء اعترضته آلة التصوير لتلتقط صورته أو لم تعترضه، بعبارة أخرى لا يتوقف وجود الشئ على كونى أعرفه.(٣)

---

(١) مدخل الى الفلسفة كوليه، د.أبو العلا عفيفى، ص٢٩٢

(٢) المرجع السابق ، ص٢٩٨.

(٣) نظرية المعرفة، د.زكى نجيب محمود، ص١٣، ١٤.

ويتفق أصحاب هذا المذهب مع ما يسلم به الإنسان العادى من أن العالم الخارجي موجود بغض النظر عن وجودى أى له وجود مستقل عن الذات.

وهكذا تثق الواقعية الساذجة ثقة عمياء فى مدركات الحس بدون نقد أو اختبار، ولهذا يعتبر هذا المذهب فى واقع الأمر مرحلة سابقة على التفكير العلمى والفلسفى، إذ لا تخضع المعرفة لدى الواقعية الساذجة للتفكير النقدى.(١)

فى الحقيقة أن الواقعية الساذجة قد أخطأت فى تفسيرها للمعرفة بأنها صورة مطابقة لحقائق الأشياء ذلك لأن العلم اثبت لنا ان معرفتنا لا تمثل فى واقع الأمر الفكرة الصحيحة عن حقائق الأشياء حيث يوجد بين الأشياء فى الواقع وبين أفكارنا التى عنها اختلافا ملحوظا لا يمكن إهماله والدليل على ذلك أننا نرى بالعين المجردة كلا من الشمس والقمر قرصين صغيرين، ولكن العلم يثبت لنا خطأ هذا التصور الذى لا يتطابق على الإطلاق مع حقيقة كل من الشمس والقمر.

كذلك نرى أمامنا منضدة ونقول إنها مصنوعة من مادة صلبة، ونبنى هذا الحكم على ما فى ذهننا من صورة عن هذه المنضدة ولكن الواقع هو أن الصورة الذهنية التى لدينا عن هذه المنضدة تختلف اختلافا تاما عن حقيقتها، فالحواس التى نقلت إلينا هذه الصورة أخطأت تماما فيما نقلته.

فالمنضدة ليست مادة صلبة كما تبدو، وإنما هى مكونة من طاقات كهربية – من الكترونات وبروتونات – أى من شحنات كهربية موجبة وسالبة، وتجتمع هذه الشحنات بعضها الى بعض على هذا النحو، وبهذا الوضع هو

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٤٠.

الذى خدع الحواس وجعلها تنقل إلينا صورة معينة للمنضدة لا تنطبق على حقيقة المنضدة فى ذاتها.

كذلك معرفتى باللون لا تطابق الواقع، يقول علماء الفسيولوجيا إنه لا توجد ألوان فى العالم الخارجى كما تبدو للفكر العادى، فكل الألوان تنشأ ابتداء فى أعيننا نتيجة تأثيرات موجات ضوئية معينة تسقط على أعيننا.(١)

وهكذا يتضح لنا خطأ ما تدعيه الواقعية الساذجة من أن الفكرة التى يكونها المرء بحواسه عن الأشياء التى يدركها هى صورة طبق الأصل للشئ المدرك.

٢- <u>الواقعية النقدية:</u>

رأينا - فيما سبق - خطأ الواقعية الساذجة فى تفسير صحيح للمعرفة الأمر الذى دفع كثير من الفلاسفة للقيام بالبحث الدقيق فى طبيعة المعرفة، لذلك استطاع الباحثون تحويل الواقعية الساذجة الى مذهب نقدى وهو المذهب الذى اعتمدته العلوم الطبيعية بعد اخضاعه للنقد العلمى.

فالواقعية النقدية ما هى إلا تعديلا وتصحيحا للآراء التى نادت بها الواقعية الساذجة.(٢)

ويعد "جون لوك" أول من أخضع المعرفة للنقد والفحص فى ضوء قوانين العلوم الطبيعية، فهذه العلوم تعتبر المادة شيئا حقيقيا له وجود واقعى متعين فى الخارج، ولكن ما تدركه الحواس من كيفيات هو من عمل الذهن.

---

(١) نظرية المعرفة د.زكى نجيب محمود، ص١٨ وما بعدها، وأسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٤١.

(٢) مدخل الى الفلسفة، د.حسن عبد الحميد، ص٢٦٦.

ويبدأ "جون لوك" بتحليل أفكار الإنسان الى بسيطه هى أحاسيسنا التى تأتى عن طريق حاسة واحدة كاللون حين يأتى عن طريق البصر، أو تأتى عن طريق حاستين كالشكل حين يأتى عن طريق البصر واللمس معاً، ثم الى أفكار مركبة يركبها العقل بفاعليته من تلك الأفكار البسيطة، وهذه الأفكار المركبة إما أن تكون فكرة عن الشئ فى صفاته العارضة أو فكرة عن الشئ فى جوهره الثابت أو فكرة عن العلاقات التى تربط شيئاً بشئ، وهذه المعرفة على اختلاف أنواعها من بسيطة ومركبة منها ما يكون صورة مطابقة للواقع، ومنها ما لا يكون بينه وبين الواقع شبه وان يكن دالا عليه.(١)

تلك هى الواقعية النقدية التى تجعل الواقع مصدر معلومتنا، لكننا لا نتسرع بوصف معرفتنا كلها بوصف واحدا، كأنها كلها من طبيعة واحدة، بل تحلل أنواع المعرفة لترى ماذا يتشابه فى أجزائها وماذا يختلف، وماذا يصور الأشياء الخارجية تصوير الشبيه لشبهه وماذا لا يصورها.(٢)

وتتميز الواقعية النقدية عن الواقعية الساذجة برفضها التسليم بالوجود الحقيقى لعالم المدركات الحسية بغير اختبار نقدى، فأنها تحاول أن تثبت الحقيقة بعد اخضاعها للنقد والتمحيص فى ضوء قوانين العلوم الطبيعية.

مثال ذلك: اللون الأحمر الذى ندركه فى الوردة ليس مطابقا لما هو موجود فيها، إذ أن ما ينبعث من الوردة هو موجات ضوئية لها طول معين، وعندما تلتقى هذه الموجات الضوئية بالعين تنتقل عن طريق الأعصاب الى المخ وتتحول الى اللون الأحمر كما نعرفه.

---

(١) نظرية المعرفة، د.زكى نجيب محمود، ص٢٧،٢٨.

(٢) قصة الفلسفةالحديثة، أحمد أمين، ص٢١٣.

وهذا يعنى أن اللون الأحمر قد تكون فى داخل الجسم على أساس موجات الضوء التى وردت إليه من الخارج، إذن يتضح لنا أن اللون الأحمر فى الوردة ليس على نفس الصورة التى ندركه فيها.(١)

إذن فالمعرفة عند الواقعية النقدية ليست إدراك صورة مطابقة للأشياء الخارجية بل إدراك صورة يحولها العقل بعد النقد والتحليل الى معرفة حقيقية.

ثانيا: المذهب المثالى:

يختلف المذهب المثالى عن المذهب الواقعى اختلافا تاما فبينما يعترف المذهب الواقعى بوجود عالم خارجى من الأشياء وجودا مستقلا عن الإنسان بحيث يظل موجودا سواء وجد فيه الإنسان الذى يعرفه أو لم يوجد، ترى المذهب المثالى لا يعترف بوجود شئ خارج العقل، فلا وجود إلا لما يدركه العقل، وما ليس يدركه العقل يستحيل أن يكون موجوداً.(٢)

وتتفق المذاهب المثالية على أن وجود الأشياء الخارجية متوقف على وجود القوى التى تدركها بمعنى أن كل ما يمكن معرفته من الأشياء إنما هو فى أصل طبيعته شئ عقلى فالعالم الخارجى أو عالم الأشياء يرجع الى أفكار وتصورات، وأن وجوده ليس مستقلا عن العقل الذى يدركه.(٣) ورغم اتفاق المذاهب المثالية على هذا الأساس إلا أنها تختلف وتبتعد عن بعضها فيما يتعلق بالتفاصيل.

فالمذاهب المثالية تبدو فى صور مختلفة:

---

(١) تمهيد للفلسفة، د.محمود زقزوق، ص١٤٢،١٤٣.
(٢) نظرية المعرفة، د.نجيب محمود، ص٤٠.
(٣) تمهيد للفلسفة، د.محمود زقزوق، ص١٤٤.

فالإتجاه الذي يعتبر أن هذه الأفكار هي مجموعة أعمال ذهنية في عقل فرد يسمى بالمذهب المثالي الذاتي، أما إذا اعتبر أن التجربة تتألف دائماً من أفكار بدون أن يذكر شيئا عن ذات عاقلة أو ذات لها هذه الأفكار فإنه يسمى بالمذهب المثالي الموضوعي، وهناك مثالية (كانت) المفارقة أو النقدية التي تميز بين صورة العلم ومادته.(١)

— وفيما يلي سنعرض هذه الاتجاهات الأساسية المختلفة:

١- **المثالية الذاتية:**

يرى أصحاب هذا المذهب أن الوجود هو الإدراك، أي أن وجود الأشياء معناه أننا ندركها فلا وجود لغير المدرك.

ويعتبر الفيلسوف الانجليزي "بركلي" (١٦٨٤-١٧٥٣م) أهم من مثل المثالية الذاتية في القرن الثامن عشر، ولقد كانت مثالية بركلي الذاتية رد فعل لواقعية جون لوك فرفض تحليل جون لوك لطبيعة المعرفة، وصرح بأن وجود العالم الخارجي كله يتمثل في إدراكه فالوجود هو الإدراك، فالمادة لا تدرك في ذاتها بل أنها معنى مجرد لا يمكن تصوره بدون كيفياته.

وقد وصف بركلي مذهبه بأنه مذهب لا مادي، ولكن هذه اللامادية لا تعني إنكار وجود المحسوسات بدليل أننا ندركها، فهي لاتذهب الى تحويل الأشياء الى معان، وإنما تحويل المعاني الى أشياء.(٢)

وبناء على ذلك فإن بركلي لا يدعي أن العالم الخارجي غير موجود لأن هذا يكون إدعاء متناقضا، فالمثالية حين ترجع هذا العالم الى أفكار أو إدراكات

---

(١) المدخل الى الفلسفة كوليه، ترجمة د.أبو العلا عفيفي، ص٢٩٠.

(٢) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٤٤.

وتجعله فى وجوده غير مستقل عن العقل الذى يدركه، فإن ذلك لا يعنى إطلاقا إنكار أو نفى هذا الوجود عن العالم الخارجى.

فالعالم الخارجى إذن ليس وهما، فإذا أغمضت عينى عن الأشياء التى أمامى، ولم أعد أراها أو أحس بوجودها فإن ذلك لا يعنى أنها غير موجودة.

مثال ذلك - كما يقول بركلى "ان الشجرة حين لا تدركها أنت فقد يدركها غيرك من الناس، وإذا لم يكن يدركها إنسان فهنالك العقل الإلهى يدركها مع سائر الكائنات.(١)

وهكذا ربط بركلى مذهبه كله بمفهوم الله، فإدراك الله هو الذى يحفظ وجود هذا الكون بقطع النظر عما إذا كانت هناك أية عقول إنسانية تقوم بعملية الإدراك أم لا.

٢- <u>المثالية الموضوعية:</u>

تتمثل المثالية الموضوعية فى مثالية أفلاطون من حيث أنه ينظر الى المعنى أو المثال على أنه هو جوهر الأشياء من غير إشارة الى ذات مدركة لهذه المعانى أو هذه المثل.

فالمعرفة عند أفلاطون ترجع الى العقل وموضوعات إدراكه هى المعقولات الدائمة التى تشبه فى طبيعتها العقل المدرك لها وهذه المعقولات هى المثل، ولما كانت هذه المثل ليست من صنع العقل المدرك لها بل كانت قائمة بذاتها فى عالم مثالى سواء أدركناها أو لم ندركها فهى لا تعتمد فى وجودها على العقل المدرك لها.

---

(١) نظرية المعرفة، د.زكى نجيب محمود، ص٤٣.

ولهذا تسمى مثالية افلاطون بالمثالية الموضوعية لأن العقل المدرك لا يؤثر فى موضوع مدركه وهو المثل وإنما يلتزم بموضوع الإدراك ويؤثر هذا الموضوع فيه.(١)

إلا أن هذا المذهب المثالى الموضوعى لم يظهر فى صورته الدقيقة إلا فى فلسفة هيجل الذى يعد من أعظم الفلاسفة المثاليون فى العصر الحديث حيث ذهب الى اعتبار (الفكرة المطلقة) شاملة لكل ما هو موجود، كما ذهب الى أن المنهج الموصل الى العلم بكل ما هو حقيقى هو منهج الجدل المنطقى.(٢)

المثالية النقدية:

يتمثل مذهب المثالية النقدية فى فلسفة الفيلسوف الألمانى "كانت" (١٧٢٤-١٨٠٤)، يرى "كانت" أن المعرفة لا تأتى من المدركات الحسية وحدها ولا من العقل وحده.

لذلك فهو يرى أن العالم الخارجي يتمثل فى مجموعة من الظواهر التى تحدد بناءها قوانين عقلنا، ويميز كانت فى المعرفة بين ما هو أولى سابق على كل تجربة وما هو مكتسب بالتجربة أى يميز بين الظواهر الأولية السابقة على كل تجربة والظواهر التى تكتسب بالتجربة، فالصور الأولية السابقة على التجربة ضرورية لإكتساب المعرفة.

ومهمة العقل أن يكشف لنا عما يجئ من الخارج وما يضيفه الفكر من معانى تجعل التجربة ممكنة، وهذه المعانى أو الصيغ الأولية الموجودة فى

(١) الفلسفة ومباحثها، د.أبو ريان، ص٢١٥.

(٢) المدخل الى الفلسفة كوليه، ترجمة د.أبو العلا عفيفى ص٢٩٧.

الذات هى التى تطبق على الآثار الحسية الواردة من الخارج، فليست التجربة الحسية إذن ذاتية خالصة أو موضوعية محضه بل هى تجمع بين الناحيتين، فالعقل يقدم للتجربة مبادئ أو صيغا أولية لا تستطيع أى تجربة أن تقدمها، ومع ذلك فهى شروط أساسية لصحة التجربة والتجربة الحسية تقدم للعقل معلومات جديدة فتسمح بإقامة أحكام تركيبية لا تحليلية.(١)

هكذا يحدد كانت مدى مشاركة كل من الذات والموضوع فى عملية المعرفة، فالتجربة لا يقال عنها أنها ذاتية محضة أو موضوعية محضة، ويختار كانت موقفا وسطا، فهو إذ يسلم من ناحية بموضوعية المعرفة من حيث أنها تبدأ بالإدراك الحسى أو الخبرة الحسية فإنه من ناحية أخرى يجعل العقل مشاركا فى بناء موضوعات المعرفة بما لديه من صور ذهنية، فالذهن أو الأفكار بدون مضمون تعد جوفاء، والإدراكات الحسية بدون مفاهيم تعد عمياء.(٢)

---

(١) مدخل الى الفلسفة، أبو ريان، ص٢١٦.

(٢) تمهيد للفلسفة، د.محمود زقزوق، ص١٤٨.

مصادر المعرفة

- المذهب العقلى
- المذهب التجريبى
- المذهب النقدى
- المعرفة الإلهامية

مصادر المعرفة

اختلفت المذ ـب الفلسفية فى مصادر المعرفة ويمكننا تحديد هذه المذاهب فيما يلى:

المذهب العقلى يرى أن العقل هو مصدر المعرفة.
المذهب التجريبى يرى أن الحس هو مصدر المعرفة.
المذهب النقدى يرى أن كلا من العقل والحس مصدر للمعرفة.

وذلك بالإضافة الى مصدر آخر من مصادر المعرفة وهو الإلهام، وفيما يلى سنعرض لهذه المذاهب.

المذهب العقلى:

يذهب أصحاب المذهب العقلى الى أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، والعقل قوة فطرية فى الناس جميعا أى سابقة على كل تجربة ومستقلة عنها، فالعقل إذن هو مصدر العلم اليقينى أما الإحساس فإنه يمدنا بمعلومات غير واضحة مبعثرة لا رابط بينها، ومن ثم فانها تؤدى الى معرفة ظنية واحتمالية لا ترقى الى مرتبة اليقين.(١)

ويقوم المذهب العقلى على أن كل معرفة حقه أو علمية تصدر عن العقل من مبادئ أولية بديهية لا تأتى من التجربة.

والمعرفة الأولية أو البديهية هى الحقائق التى تكون فطرية فى العقل وتكون واضحة بذاتها ومن ثم تكون صادقة بالضرورة أو يراد بها مبادئ

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٥٠.

المعرفة التى لا تجئ اكتساباً، فلا تنشأ عن تجربة ولا تكون من صنع العقل فى تعميماته، وهى موجودة فى العقل بالقوة سابقة ومستقلة عن كل تجربة.

وقد تكون المعرفة البديهية خالصة من كل أثر للتجربة، وقد يخالطها عنصر تجريبى، فالقضية "لكل تغير علة تحدثه" قضية بديهية ولكنها لا تخلو من عنصر تجريبى لأن فكرة التغير لا يمكن إدراكها إلا بالتجربة.(١)

ويستعين العقل فى تحصيل المعرفة بما أوتى من مبادئ أولية تتميز بالضرورة والتعميم، أما الضرورة التى تتميز بها المعرفة العقلية وقضاياها فإنها ضرورة عقلية توجب صدق هذه القضايا والأحكام دائماً، كما هو الحال فى قوانين المنطق والرياضة والبديهيات فإذا قلنا أن النقيضين لا يجتمعان فإننا لا نحتاج الى أى تجربة حسية لإثبات ذلك، إذ أن هذا الحكم صادق عقليا بالضرورة وكذلك أيضاً إذا قلنا أن الكل أكبر من الجزء فهذه كلها بديهيات عقلية مشتقة من قوانين العقل الأولية فلا تحتاج الى برهان أو تجربة.

وأما أتصاف الأحكام العقلية بالتعميم أو بالكلية فيراد به صدق هذه الأحكام فى كل زمان ومكان، وعدم تغيرها بتغير الظروف والأحوال.(٢)

والسؤال الآن هو: ما المصدر الذى جاءت منه مبادئ العقل ؟

يذهب الفلاسفة الحسيين والتجريبيين الى أن المبادئ العقلية العامة ترجع الى الحس والتجربة وهذا الرأى ذهب إليه كل من جون لوك وديفيد هيوم.

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٠.

(٢) المدخل الى الفلسفة، ترجمة د.أبو العلا عفيفى، ص٢٠١

أما الفلاسفة العقليون فقد ذهبوا عكس هذا تماما، وصرحوا بأن مبادئ العقل هي من طبيعة عقلية، ولسنا في حاجة الى الرجوع الى الواقع أو التجربة من أجل فهمها.(١)

ويرى ديكارت أبو الفلسفة العقلية فى العصر الحديث بأن المبادئ العقلية أفكار فطرية وليست مكتسبة، وهى موجوده فينا بالطبيعة فهى بثت فى نفوسنا منذ أن خلقنا الله، فالله هو الذى وضعها فى عقولنا وهى مضمونه بأصلها الإلهى.(٢)

المذهب التجريبي:

يرى أصحاب المذهب الحسى أو التجريبى أن كل معرفة إنما ترجع الى الإحساس فمن فقد حاسة فقد العلم بما يقابلها من محسوسات، ومن ثم فإن المعرفة الحسية ليست ضرورية مطلقة بل هى نسبيه تجريبية.

ولقد تطور المذهب التجريبى وأتخذ صورا شتى كلها على اتفاق فى رفض المعرفة الأولية السابقة على كل تجربة وإنكار الفطرة مصدراً للعلم.(٣)

والمذهب الحسى من أقدم مذاهب الفلسفة عند اليونان وقد أكتمل بصفة خاصة عند الذريين والأبيقوريين، أما فى العصر الحديث فيعتبر جون لوك الواضع الحقيقى لنظرية المعرفة، وقد وضح مذهبه فى المعرفة فى كتابه (مقاله فى العقل البشرى) الذى يبدأ بإنكار الأفكار الفطرية ويبين أن كل معرفة

---

(١) مدخل الى الفلسفة، د.حسن عبد الحميد، ص٢٧٩.
(٢) الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، ص١١٨.
(٣) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٥٥.

مهما كان نوعها بل كل ما يستطيع أن يدرك بالعقل هو فى حقيقة الأمر مستمد من التجارب.

فالعقل يولد كصفحة بيضاء والتجارب الحسية هى التى تخط عليها السطور أى أن المعرفة تأتى عن طريق الإدراك الحس.(١)

وعلى الرغم من أن جون لوك أرجع المعرفة الى الإحساس ورفض القول بفطرية المعانى والأفكار وسائر مقولات العقليين إلا أنه ميز بين نوعين من التجارب الحسية: النوع الأول: منها تجارب حسية خارجية تنصب على الظواهر الخارجية، أما النوع الثانى فهى تجارب حسية باطنية تقع على أحوال النفس، وينشأ عنها ما يسمى بالتفكير.

فالإحساس ينقل الى الذهن صور المحسوسات التى تكون موضوعا للتفكير فتنشأ عنها الصور الذهنية سواء كانت خيالا أو تذكرا أو غير ذلك.

وكذلك يرى لوك أن النفس تستطيع تأليف أفكار جديدة مركبة لما تقابلها فى العالم الخارجى، ولكنها تستمد أجزاءها من الصور الحسية التى ترد عن طريق التجارب الحسية الخارجية.(٢)

وإذا انتقلنا الى ديفيد هيوم فإننا نجده ينكر بصفة حاسمة كل معرفة أولية سابقة على التجربة الحسية، وبذلك نراه يرفض التسليم بفطرية العقل أو بفطرية المعانى أو بقوانين العقل الأساسية.

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، ص٢٠٣ وما بعدها.

(٢) الفلسفة ومباحثها، د.أبو ريان، ص٢١٢.

وقد فسر المبادئ المسلمة التى ظن العقليون أنها فطرية وعامة تصدق فى كل زمان ومكان على أنها أعمال عقلية ترجع الى ترابط آلى يبدو فى جميع الظواهر النفسية، ومرجع الترابط بين الأفكار قانون تداعى المعانى.(١)

وعلى ذلك فالترابط بين الأفكار - فى اعتقاده - لا يرجع الى طبائع هذه الأفكار التى تسمح بارتباطها بالضرورة عقليا عند أصحاب المذهب العقلى، وإنما يرجع الى قانون تداعى المعانى الذى لا يقوم على أساس عقلى بل يتم بطريقة آلية.

مثال ذلك أنه أرجع قانون العلية الى المشاهدة والتجربة، شاهد الناس ظواهر يتبع بعضها بعضا فأدى بهم هذا الى الاعتقاد بأن السابق علة اللاحق، واقترنت فكرة العلة بفكرة المعلول. وهذا هو سبب الضرورة فى قانون العلية، ومثل هذا يمكن أن يقال فى كل القوانين التى يظن العقليون أنها فطرية فى الناس جميعاً.(٢)

ولقد تابع هيوم نقده لمفاهيم العقليين وأنكر التفكير الميتافيزيقى وأشاد بالتجربة وبالرياضة فأقام العلم على أسس تجريبية رياضية، وقد سار الوضعيون المنطقيون على نفس الطريق الذى رسمه هيوم والحسيون الانجليز.

ويلاحظ أن ذيوع النزعة المادية فى القرن التاسع عشر بتأثير من سيطرة المنهج التجريبى قد أدى الى توليد دعائم المذهب الحسى، فظهرت المادية الجدلية التى ترى فى المادة وحدها مصدراً للوجود، وأما الفكر والعقل

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٣.

(٢) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٥٧.

وسائر الأمور المعنوية فإنها ترجع الى المخ الذى يعتبر تركيبا ماديا معقدا، ولهذا فقد جعلت هذه المدارس الإحساس الأساس الوحيد للمعرفة وفسرت الوجود بالمادة والحركة فحسب.

ويمكن القول إذا كان الحسيون أنكروا وجود البديهيات والأوليات قبل أى تجربة فكيف يمكن لهم أن يفسروا خداع الحواس بغير طريق الاستدلال العقلى، ثم كيف يمكن لعلم النفس الفسيولوجى المعبر عن مذهب الحسيين من الناحية السيكولوجية كيف يمكن له أن يفسر المشاعر والإنفعالات العميقة التى لا تصلح المقاييس المادية فى رصدها ؟[١]

الحق أن مغالاة الحسيين والماديين فى دعواهم إنما تؤدى الى مغالطات خطيرة والى استحالة تفسير المعرفة.

كما أن مغالاة العقليين فى موقفهم المنكر لشواهد الحسية إنما يعصف بواقع التجربة الحيوية التى يعانيها الإنسان، وليس من شك فى أن موضع الحقيقة إنما يجب البحث عنه فى المدى المتوسط بين دعوى الحسيين ودعوى العقليين.

<u>المذهب النقدى:</u>

وأمام هذين المذهبين المتعارضين (مذهب الحسيين ومذهب العقليين) كان طبيعياً أن ينشأ مذهب يتوسطهما ويحاول أن يجمع بينهما فى نسق واحد، وقد كان هذا هو المذهب النقدى الذى وضعه كانت وحاول فيه أن يجمع بين التجربة والعقل مصدراً للمعرفة، فالعلم بالأشياء مرجعه الى التجربة ولكن

---

(١) الفلسفة ومباحثها، د.أبو ريان، ص١١٣،١١٤.

الإدراك الحسى لا يستقيم بغير مبادئ أولية بديهية لا تستمد من التجربة، بل تقوم فى الذهن سابقة على التجربة وتكون شرطا لازما لها.(١)

هكذا وقف كانت موقفا وسطا بين العقليين والتجريبيين، فإنه رأى أن كلا من هذين المذهبين محق فى جانب ومخطئ فى جانب آخر فأخذ كانت من هذين المذهبين ما يعتقد أنه الجانب الحق، ووحد بينهما فى نظرية جديدة تضمنها فى كتابه [نقد العقل الخالص].

يرى كانت أن تحليل طبيعة المعرفة يبدأ أولاً بتحليل تركيب العقل وبنائه لكى يصل من ذلك الى تحديد دور المبادئ الأولية العقلية فى عملية المعرفة التى تجئنا بها التجربة، والتجربة عند "كانت" هى نقطة البدء فى كل ما نحصله من معارف تجريبية، وأن العقل بما يحتوى من مبادئ أولية دور هام فى تنظيم الآثار الحسية التى تأتينا بها التجربة، وفى تحويلها الى المعرفة، وهو يتبع فى ذلك خطوتين:

الخطوة الأولى: ربط الأحاسيس الآتية من الخارج والتوفيق بينها وجمعها فى وحدة يصبها فى قالبى الإدراك الحسى، وهما المكان والزمان.

الخطوة الثانية: تحويل المدركات الحسية الى مدركات عقلية، ومعنى هذا أن الأحاسيس المختلفة التى تمدنا بها التجربة لا يمكن اعتبارها "معرفة" ما دامت تأتينا مفرقه مبعثرة، ولكن اذا استطاع العقل أن يجمع هذه الأشتات الحسية وينظمها حول "شئ معين" فأنها تتحول حينئذ الى معرفة، وعندئذ فإننا

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٥٩.

ندرك شيئا ما وهذا الإدراك للشئ فى مجموعه هو ما نسميه بالإدراك الحسى، وتحول الإحساس الى إدراك حسى معناه تحول الإحساس الى معرفة.(١)

فمعنى هذا أن الحواس تقدم المادة الخام للمعرفة ثم تدفع العقل لممارسة وظائفه الفطرية فتنشأ المعرفة ابتداء بواسطة تشكيل العقل لهذه المادة الخام التى جاءته من الحواس، فالعقل يعطى للطبيعة قوانينه، وبذلك يصبح العقل هو المشرع للطبيعة.

هكذا وقف "كانت" موقفا وسطا بين المذهبين المتعارضين وبذلك لم يكن تجريبيا صرفاً ولا عقليا محضا.

(١) مدخل الى الفلسفة، د.حسن عبد الحميد، ص٢٥٨، ٢٥٩.

المعرفـة الإلهاميـة

المعرفة الإلهامية هى تجربة روحية مصدرها الإلهـام، والإلهـام مصـدر من مصادر المعرفة ولكنه لا يمكن أن يكون مصدراً عاماً للمعرفـة لذلـك فـإن الفلسفة - باعتبارها تنظر فى الحقيقة الواقعـة فـى شـمولها - لا يجـوز لهـا أن تتجـاهل أى أمـر مـن أمـور الحقيقـة الواقعـة فـلا يجـوز أن تتجــاهل التجربــة الروحية.

وتختلف المعرفة الإلهامية بطبيعة الحال عن غيرها من أنواع المعــارف الأخرى التى سبق أن تحدثنا عنها من حيث أن هذه المعارف تمثل علما كسـبيا يحصل عليه المرء عن طريق الدرس والتعلم فى حين تمثل المعرفة الإلهاميـة علما يحصل عليه المـرء مباشـرة بـدون دراسـة أو تعلـم، وهـذا العلـم المباشـر - كما يقول الإمــام الغزالـى - يكـون للأنبيـاء والأوليـاء، يقـع فـى قلوبهـم بـلا واسطة ويسمى هذا العلم بالعلم اللدنى أو الإلهام.(١)

والإلهام - كما يعرفه الغزالــى هـو "تنبيـه النفـس الكليـة للنفـس الجزئيـة الإنسانية على قدر صفائها وقبولها وقوة استعدادها".

والعلم اللدنى هو العلم "الـذى لا واسـطة فـى حصولـه بيـن النفـس وبيـن البارى وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صـاف فارغ لطيف".

ويرى الغزالى أن العلم الذى يحصل لا بطريق الإكتساب يسمى إلهامـا، والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا.(٢)

---

(١) الحياة الروحية فى الإسلام، د.محمد مصطفى حلمى، ص١٢٨.

(٢) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالى، جـ٣، ص١٣.

والرياضة الصوفية تؤدى الى هذا العلم المباشر أو الإلهام، ولابد من التجربة المباشرة أو ما يسمى بالذوق فى المعرفة الصوفية، إذا لم تتوفر للمرء مثل هذه التجربة الخاصة لجأ الى إنكار إمكان المعرفة الإلهامية، ويعبر الغزالى عن ذلك بقوله "وقد جرت العادة بأن الجاهل بالشئ ينكر ذلك الشئ".

وهناك شرط أولى ضرورى لسلوك الطريق الصوفى الذى يؤدى الى هذا العلم اللدنى وهو طهارة القلب طهارة كاملة من كل ما عدا الله، ومفتاح هذا الطريق هو "استغراق القلب بالكلية بذكر الله".(١)

وليس معنى ذلك أن ننكر العقل فى مجال المعرفة الإلهامية بل أن للعقل دورا هاما يتمثل فى وظيفتين أساسيتين وهما.

الوظيفة الأولى: هى أنه عن طريق العقل يمكن استيفاء الشروط الأساسية الثلاثة للحصول على المعرفة الصوفية، وفى ذلك يقول الغزالى "أعلم أن العلم اللدنى – وهو سريان نور الإلهام – يكون بعد التسوية كما قال تعالى: **(ونفس وما سواها)**، وهذا يكون بثلاثة أوجه: أحدها: تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الأوفر من أكثرها، والثانى: الرياضة الصادقة، والثالث: التفكر.

فإن النفس إذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تتفكر فى معلوماتها بشروط التفكر ينفتح عليها باب الغيب... فالمتفكر إذا سلك سبيل الصواب يصير من ذوي الألباب، وتتفتح روزنه من عالم الغيب فى قلبه فيصير عالما كاملا عاقلا ملهما مؤيدا".(٢)

---

(١) المنقذ من الضلال، الإمام الغزالى، ص١٠٦.

(٢) ميزان العمل للغزالى، ص٢٢٦.

ويتضح لنا من هذا النص أن الغزالى يميل الى رأى النظار وذوي الاعتبار فى التأكيد على أهمية تحصيل العلوم، وقد كان هو نفسه مثالا حيا لذلك.

ولا تقتصر مهمة العقل على استيفاء هذه الشروط الثلاثة فقط، وإنما بعد ذلك تبدأ الوظيفة الأساسية الثانية للعقل، والتى تتمثل فى الحكم النقدى على التجارب الصوفية وتقويمها تقويما صحيحا.(١)

وقد قام الغزالى بتفنيد الإدعاء بأن التجارب الصوفية أمور لا عقلية، وانها لذلك خارجه عن نطاق حكم العقل، ووضح أنه لا يجوز إطلاقا أن يظهر للولى شئ يحكم عليه العقل بالاستحالة.

وفى ذلك يقول الغزالى "إن من الممكن أن يكشف للولى عن شئ لا يستطيع العقل إدراكه، ولكن ليس من الممكن إطلاقا أن يكشف له عن شئ يحكم عليه العقل بالاستحالة".

وبذلك يفرق الغزالى بين عدم استطاعة الإدراك وبين ما يعتبره العقل غير ممكن، ويوضح هذه الفكرة بمثال فيقول:

"نعم، يجوز أن يظهر فيها ما يقصر العقل عنه بمعنى أنه لا يدركه بمجرد العقل، مثاله أنه يجوز أن يكاشف الولى بأن فلانا سيموت غدا، ولا يدرك ذلك العقل بل يقصر العقل عنه، ولا يجوز أن يكشف بأن الله غدا سيخلق مثل نفسه، فإن ذلك يحيله العقل لا أن يقصر عنه".(٢)

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى، جـ٤، ص٨٦.

(٢) مشكاة الأنوار للغزالى، تحقيق: د.أبو العلا عفيفى، ص٥٧.

ومن ذلك يتضح أن المعرفة الإلهامية – وإن كانت أحياناً تتجاوز العقل – إلا أنها من ناحية أخرى يجب أن تظل فى نطاق ما يعتبره العقل فى دائرة الإمكان، فهى معرفة لا تلغى العقل، بل – على العكس من ذلك – هى فى حاجة مستمرة الى التقويم والدعم من جانب العقل الذى هو – كما يقول الغزالى: "ميزان الله فى أرضه".

إمكان المعرفة

أولا: مذهب الشك:

- **نقد مذهب الشك**
- **الشك المنهجى**

ثانيا: مذهب اليقين:

- **العقليون والتجريبيون**
- **المذهب النقدى**

إمكـان المعرفـة

أهتم الفلاسفة بالبحث فى إمكان المعرفة وحدودها، وعما إذا كان فى استطاعة الإنسان أن يصل الى معرفة صحيحة أم لا.

نجد فريق من الفلاسفة ينكر إمكان المعرفة وينفى قدرة الإنسان على الحصول على معارف يقينية، والذى نادوا بهذا الرأى ودافعوا عنه هم أصحاب مذهب الشك.

وفريق آخر من الفلاسفة يرى إمكان المعرفة وبأن الإنسان لديه القدرة على الوصول الى المعرفة اليقينية، وهذا ما ذهب إليه أصحاب مذهب اليقين.

وفيما يلى سنعرض لهذين المذهبين:

أولا: مذهب الشك:

الشك كنظرية فى المعرفة يراد به أن وسائل المعرفة المختلفة من عقل وحواس لا يمكنها بلوغ اليقين أو التوصل الى معرفة حقيقة الأشياء، ولذلك فإنه يجب التوقف عن إصدار أى حكم استنادا الى أن كل قضية تقبل السلب والإيجاب بقوة متعادلة.(١)

والشاك هو أحد المفكرين الذين ينكرون إمكان المعرفة سواء كان هذا الإنكار إنكارا جزئيا أو إنكاراً كليا شاملا لكل المعارف.

ولمذهب الشك فى الفلسفة تاريخ قديم فهو يرجع الى الفلسفة اليونانية خاصة عند السوفسطائين الذى بدأ عندهم بإنكار حقائق الأشياء وبالتالى إنكار

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١١٧.

إمكان المعرفة، وقالوا بنسبية المعرفة، وأن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً، فامتنع لديهم كل قول أو معرفة، وتعذر بذلك قيام العلم، وقد استند السوفسطائيون الى خداع الحواس وعدم الثقة فى الإدراك الحسى وتلاعبوا بالألفاظ مستعملين طرق التورية والجناس اللفظى حتى اشاعوا الغموض والأضطراب فى أفكار الناس وأقوالهم.

ويعتبر "جورجياس" - أحد فلاسفه السوفسطائين - أول من أنكر حقائق الأشياء وعرض مذهبه هذا فى كتابه (اللا وجود) ويتخلص مذهبه فى قضايا ثلاث هى:

١- لا يوجد شئ.
٢- إذا وجد شئ فلا يمكن أن يدرك.
٣- إذا أدركه إنسان - على سبيل الفرض - فلا يمكن أن يبلغه الى غيره.(١)

وكادت النزعة السوفسطائية أن تقضى على كل معرفة لولا ظهور شخصية سقراط الذى استطاع أن يتحدى هذا التيار من الشك الهادم، فأخذ يحدد معانى الألفاظ ثم يثبت حقائق الأشياء.

ويقسم مؤرخو الفلسفة مذاهب الشك فىالعصر القديم الى ثلاث مدارس هم - البيرونيين - وشكاك الأكاديمية، وصغار الشكاك.

أما الشك فى العصر الحديث فيكاد يكون مقصوراً على الفلسفة الفرنسية فنجده عند (مونتنى) فى القرن السادس عشر و(هيوم) فى القرن الثامن عشر و(رينان) فى القرن التاسع عشر ولكن الشك عند هؤلاء لا يعتبر صورة من

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، د.يوسف كرم، ص٤٨ وما بعدها.

الشك القديم إذ أنهم لا يسمحون بأن تقضى موجة الشك على الدين والتقاليد والمعرفة فى جميع صورها.(١)

نقد مذهب الشك:

عرفنا فيما سبق أن مذهب الشك يقوم على إنكار حقائق الأشياء وبالتالى إنكار إمكان المعرفة، فكان لهذا المذهب أثر هدام فى الجانب الخلقى والاجتماعى بالاضافة الى أثرها فى الجانب الفكرى والفلسفى على وجه الخصوص.

والحقيقة أن مذهب الشك لا يستقيم "إلا بالانكار التام لحق العقل فى إصدار أى حكم من الأحكام حتى الحكم بأننا لا نستطيع أن نعلم شيئا على سبيل اليقين (وهو قول الشكاك أنفسهم) فإن هذا الحكم أحد أحكام العقل، ويجب بمقتضى مذهب الشك نفسه أن يوضع موضع الشك، وهو أيضاً دعوى لايمكن البرهنة على صحتها، على حد قول الشكاك لأنهم ينكرون إمكان البرهنة على أى دعوى من الدعاوى، فمذهب الشك إذن مذهب يناقض نفسه".(٢)

فالشكاك يناقضون أنفسهم بأنفسهم، وذلك لأنهم يعترفون بالمبادئ العقلية كوسيلة للمناظرة فى حين أنهم فى الوقت نفسه ينكرون هذه المبادئ، يقول الغزالى "فالسوفسطائى كيف يناظر ومناظرته فى نفسه اعتراف بطريق النظر".(٣)

---

(١) المدخل الى الفلسفة كوليه، ترجمة: د.أبو العلا عفيفى، ص٢٨٣،٢٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨٥.

(٣) معيار العلم، الغزالى، ص٢٤١.

وقد اعترض على مذهب الشك بأن الشاك حين يدعى أنه ليست هناك معرفة فإنه يدعى فى الوقت نفسه بالضرورة أن دعواه معرفة من المعارف، وبذلك تكون دعواه قد نقضت نفسها بنفسها.

لذلك يعتبر الشك أزمة فى حياة العقل أنه يشيع الحيرة فى العقول ويثير القلق فى النفوس فيملؤها ضيقا ويأسا إذا استمر مسيطرا عليها وقتا طويلا.

وإذا كان قدماء الشكاك قد خدعوا أنفسهم بما خيل اليهم من أن الشك يجلب لهم هدوء البال وراحة النفس، فإن هذا الإطمئنان الظاهرى لم يكن ليجعل غالبية الناس تستريح الى هذا المذهب أو تركن إليه وتتنازل عن طمأنينة اليقين الحقيقية مفضلة عليها قلق الشك، فهذا وضع معكوس لايمكن أن يدوم طويلا.(١)

ومن هنا كانت كل مرحلة من مراحل الشك تليها مرحلة يقين تشتد فيها الدعوة الى يقين العقل واطمئنان القلب يشهد بهذا تاريخ الشك نفسه، فشك السوفسطائية أعقبه اليقين الذى أكده سقراط وأفلاطون وأرسطو، وشك المدارس اليونانية المتأخرة تلاه يقين فلسفى دينى صوفى بإتصال الفلسفة اليونانية بالروح الشرقية الدينية وشك فرنسا فى القرن السادس عشر قد أعقبه يقين دينى عند شارون وتجريبى عند بيكون وأتباعه، وعقلى عند ديكارت ومدرسته، وشك هيوم قد دحضه كانت بمذهبه النقدى.(٢)

---

(١) تمهيد للفلسفة، د.محمود زقزوق، ص١٢٧.

(٢) أسس الفلسف، د.توفيق الطويل، ص٢٠٨.

الشك المنهجي:

الشك المنهجي هو نوع آخر من الشك ولكنه يختلف اختلافا تاما عن الشك المذهبي الذي ينكر إمكان المعرفة.

فالشك المنهجي لا ينكر الحقيقة كما لا ينكر مقدرة الإنسان على المعرفة إنما هو منهج يلتزمه الفيلسوف أو الباحث عن الحقيقة من أجل فحص وتمحيص أفكاره ومعتقداته للتأكد من خلوها من الأخطاء والمغالطات توطئه لبلوغ اليقين.

وإذا كان مذهب الشك أو الشك المطلق قديماً قدم الفلسفة نفسها، فإن بعض المفكرين يردون نشأة الشك المنهجي أيضا الى سقراط صاحب منهج "التهكم والتوليد"

فإذا تأملنا منهج التهكم والتوليد الذى أتخذه سقراط وجدنا أن جانب التهكم فيه وهو الجانب السلبي ليس فى حقيقة أمره إلا الشك المنهجي يقصد به سقراط تحرير العقل من الأخطاء، وتطهيره من الأباطيل السوفسطائية وذلك بإثارة التساؤلات والشكوك.

وبعد ذلك يأتي دور التوليد وهو الجانب الإيجابي من منهج سقراط وفي هذه المرحلة يعمل على توليد الحقيقة من النفوس بعد أن يكون قد طهرها من الأوهام عن طرق تحليل مفاهيم الألفاظ والعبارات وحتى يستطيع بعد ذلك بلوغ اليقين.(١)

---

(١) تمهيد للفلسفة، د.محمود زقزوق، ص١٢٩،١٣٠.

ولقد أدرك أرسطو في كتابه "ما بعد الطبيعة" أهمية الشك المنهجي بالنسبة الى البحث الذى ينشد اليقين، وأوصى بممارسته عند بداية أى بحث علمى، لأنه وجد - كما يقول - علاقة ضرورية تقوم بين الشك والمعرفة الصحيحة و... يقول فى هذا "أن الذين يقومون ببحث علمى من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه، يشبهون الذين يسيرون على غير هدى، فلا يعرفون الاتجاه الذى ينبغى أن يسلكوه".(١)

أما الشك المنهجى الذى ظهر فى العصر الحديث فيعتبر "ديكارت" رائدا لهذاالشك، ولكن يجب ملاحظة هذا الفرق بين الفيلسوف الشاك والفيلسوف الذى يستخدم منهج الشك، فطريقة الحوار السقراطى أسلوب من أساليب الشك أو منهج من مناهجه، وكذلك منهج "ديكارت"، ولم يكن "سقراط" ولا "ديكارت" فيلسوفا شاكا بل الواقع أن كل بحث فلسفى دقيق يقتضى استخدام منهج الشك.

أما الفرق بين الحالتين فهو أن الشكاك لا يؤمنون بإمكان وصول الإنسان الى علم يقينى بحقيقة الأشياء، ويضعون كل عقيدة وكل قضية موضع الاتهام والجدل.

أما أصحاب منهج الشك فيفترضون وجود هذه الحقائق ويعترفون بإمكان الوصول اليها، ولكنهم يسيرون اليها فى حذر شديد، ويضعون كل قضية موضع الإنكار الى أن يتبين لهم صدقها أو كذبها، فهم اصحاب منهج من مناهج المعرفة لا مذهب فيها.(٢)

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص٢٤١.

(٢) المدخل الى الفلسفة. الهامش، د.أبو العلا عفيفى، ص٢٨٥.

لذلك نجد "ديكارت" يتخذ الشك وسيلة لليقين ووسيلة للحصول على معرفة الحقيقة معرفة أكثر وضوحا أو هو مجرد طريق للوصول الى الحقائق.(١)

وطريقة منهجه تبدأ بالشك فى المحسوسات لأنها تخدعنا أحياناً ثم شك فى العقل كما شك فى القوانين الرياضية.

فهو يبدأ بالشك فى الآثار الحسية التى تنقلها لنا الحواس وفى الأحكام العقلية التى نكونها عن طرق مبادئ العقل وهكذا حتى شك فى وجود الله نفسه، فهو شك فى كل شئ ولكنه أثبت أن هناك حقيقة واحدة تعترض موجة الشك الجارف، بل أنها ستزداد يقينا كلما أمعنت فى الشك والإنكار وهذه الحقيقة هى أن هناك ذاتا تشك، فإن من الشك نفسه تتولد حقيقة لا سبيل الى الطعن فى ثبوتها ويقينها، وهذه الحقيقة هى وجود الشخص الذى يشك.

ولما كان الشك ضربا من ضروب التفكير، إذن فلست أستطيع الشك فى إنى أفكر، وما دمت أفكر فأنا موجود.

وهكذا وضع "ديكارت" هذه القاعدة "أنا أفكر فأنا إذن موجود" وأتخذها الأساس اليقينى الذى أقام عليه فلسفته، فمن وجود نفسه المفكرة، اثبت وجود الله ومن وجود الله أثبت وجود العالم الخارجى.(٢)

هذه هى مراحل الشك عند "ديكارت" فهو ليس بالشك المطلق الذى يؤدى الى إنكار الحقائق وإنما هو وسيلة لبلوغ اليقين أو طريق للوصول الى الحقائق

---

(١) مبادئ الفلسفة لديكارت، ترجمة: عثمان أمين، ص٥٩.

(٢) قصة الفلسفة الحديثة، د.أحمد أمين، ص٦٧.

كما يقول الإمام الغزالي "الشكوك هي الموصلة الى الحقائق، فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال".(١)

هكذا يتضح لنا أن الشك المنهجى يعتبر طريقاً مشروعاً فى الفلسفة بل نذهب الى القول بأنه المنهج الفلسفى الأصيل الذى لابد منه لكل تفلسف جاد يهدف الى الوصول الى المعارف اليقينية التى تقوم على أسس سليمة.

ثانيا: مذهب اليقين:

إذا كان الشكاك قد رأوا التوقف عن إصدار الأحكام أو الجزم بإنكار القدرة على المعرفة أو اكتساب العلم اليقينى فإن دعاة اليقين أو الاعتقاديين قد أكدوا قدرة الإنسان على أن يدرك الحقيقة، وأن فى وسعه أن يتوصل الى تعريفات للمعانى العقلية المجردة لا تقل فى مراتب اليقين عن المعرفة التى تكتسب بالتجربة.(٢)

وأصحاب هذا المذهب هم بصفة عامة أصحاب المذهبين العقلى والتجريبى على السواء فقد كان كل منهما يعتقد اعتقادا جازما فى مصدر المعرفة الذى يأخذ به، ثم لا يرى بعد ذلك أى عائق يعوق الإنسان عن أن يستقى من ذلك المصدر علما بكل شئ.

فالعقليون إذا ذهبوا الى القول بأن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة أى اعتبار المعرفة تبدأ انطلاقا من مبادئ عقلية صرفة لا مجال فيها لخبرة الحواس، ومن هذه المبادئ يمكن استنباط علم كامل بحقائق كل الأشياء. إذا

---

(١) ميزان العمل الغزالى، ص٤٠٩.

(٢) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص١٢٧.

ذهب العقليون ~~ى هذا الحد، فإن دعواهم هذه تعنى أنه ليس أمام العقل الإنسانى أى مانع يحول دون الوصول الى المعرفة الكاملة.

كما أن أصحاب المذهب التجريبى عندما يذهبون أيضا الى اعتبار التجربة الحسية المصدر الوحيد لمعرفة، فإن هذا يعنى أنهم لا يرون هناك أى عائق يمكن أن يحد من المعرفة إذا كانت الظروف أمام الحواس مهيأة فى الاتصال بالأشياء التى يراد معرفتها.

وإذا قلنا إن كلا من العقليين والتجريبين اعتقاديون فذلك لأنهم لم يلتفتوا الى أن ما اعتمدوه مصدراً للمعرفة هو نفسه فى حاجة الى اختبار وتحليل، فنقطة الإنطلاق أو الابتداء لديهم هى فى واقع الأمر ليست كذلك نقطة البداية، وإنما هناك ما يسبقها مما قد يظهره التحليل أو النقد.(١)

وهكذا يتضح لنا أن المذهب الاعتقادى أو الدجماطيقى يطلق على الفلسفات التقليدية التى درجت على استنباط أنساقها ونظمها الفلسفية من مبادئ لم تمتحن أو تفحص، ويطلق الفيلسوف كانت اسم الدجماطيقية على الأسلوب أو الطريقة التى تكتفى بملكة العقل بدون نقد، فالدجماطيقية إذن هى كل فلسفة لم تسبق بنظرية فى المعرفة.(٢)

وقد أصبح مفهوم الدجماطيقية أو المذهب الاعتقادى منذ عهد كانت يستخدم لوصف القضايا أو المذاهب الفلسفية التى لم يسبق التمهيد لها بدراسة معرفية لما تستند اليه من مقدمات أو بدراسة مدى صدق هذه المقدمات.(٣)

---

(١) نظرية المعرفة، د.زكى نجيب محمود، ص١٠٥.

(٢) يطلق المذهب الدجماطيقى قديما فى مقابلة مذهب الشك، وحديثا أو ابتداء من كانت فى مقابلة الفلسفة النقدية – الموسوعة الفلسفية، ص٢٧٧.

(٣) المدخل الى الفلسفة كوليه، ترجمة: أبو العلا عفيفى، ص٢٧٩.

ومن الطبيعى أن تكون أول مهمة أساسية أمام أصحاب هذا المذهب فى طريق دعم رأيهم تقويض دعائم مذهب الشك وقطع الطريق أمام أصحابه حتى لا يعبثوا بالعقل الإنسانى ومعارفه.

ولهذا رأينا سقراط مثلا يتصدى لدحض مذاهب السوفسطائين لكى يقيم بناء آخر يتمثل فى الثقة المطلقة فى العقل الإنسانى وقدراته.

فقد رأى سقراط أن السوفسطائيين يعتمدون فى دعواهم ومزاعمهم على اشتراك الألفاظ وغموض المعانى، فاتجهت جهوده الى تحديد الألفاظ والمفاهيم بغية الوصول الى الحد الكلى، وذلك عن طريق الاستقراء.

وهكذا كان له فضل توجيه العلم الى اكتشاف العقل لماهيات الأشياء، وبذلك أقام العلم ومهد لفلسفة الماهيات أو المعانى التى تصادفنا لدى كل من أفلاطون وأرسطو.

وكان لأرسطو دور عظيم فى الكشف عن أغاليط السوفسطائية، وإثبات إمكان المعرفة، وقدرة العقل على إدراك الماهيات، وهى الصورة الكلية، بينما يقف الحس عند الصور الجزئية التى تتمثل فى إدراك الحس للعوارض التى تتقوم بها الماهية.[1]

وتوالت جهود الفلاسفة فى هذا المجال، وهكذا نرى أن مذهب التيقن كان على النقيض من مذهب الشك.

---

(١) أسس الفلسفة، د.توفيق الطويل، ص٢١٦، ٢١٧.

فإذا كان مذهب الشك لا يجد حدودا لجهل الإنسان، فإن مذهب التيقن أو المذهب الاعتقادى أو الدجماطيقية يقف فى الجانب المقابل، ويذهب الى القول بقدرة الإنسان بلا حدود على الوصول الى معارف يقينية.

وكما أن مذهب الشك كنظرية فى المعرفة لم يعد له وجود، فإننا هنا أيضا نجد أن المذهب الاعتقادى أو الدجماطيقى فى صورته التقليدية لم يعد له وجود تقريبا باعتباره نظرية فى المعرفة، وذلك منذ أن تناوله كانت بالنقد والتفنيد من جميع نواحيه، فقد كان أول من وضع نظرية فى توضيح مصدر الدجماطيقية وتفنيدها ورأى أنه قبل أن يقيم بناء فلسفيا عليه أن ينهض أولاً للقيام بما لم يقم به الاعتقاديون وهو نقد العقل البشرى ذاته، ووضح مذهبه هذا فى كتابه [نقد العقل الخالص].(١)

فقد انتهى كانت الى موقف وسط بين العقليين والتجريبيين فالمعرفة عنده تستقى مادتها من الإحساس، ولكن هذه التأثيرات الحسية التى تأتى من الخارج فى صورة غير منتظمة لابد أن تنتظم تحت ما هو مفطور فى العقل من قوالب أو مقولات، فيصوغها العقل فإذا هى مدركة إدراكا حسياً بعد أن كانت أشتاتاً مبعثرة من الإحساسات، ومن المدركات الحسية يكون العقل مدركاته العقلية، ومن هذه يكون أحكامه التى تصدق على العالم الخارجى صدقا مطلقا.

هكذا يجعل كانت للمعرفة الانسانية الممكنة حدوداً تقف عندها، وحدودها هى حدود الخبرة الحسية، إذ الخبرة الحسية هى المضمون الذى ينصب فى مقولات العقل فتتكون بذلك معارفنا عن العالم الخارجى، وبغير هذه

---

(١) المدخل الى الفلسفة كوليه، ترجمة: أبو العلا عفيفى، ص٢٨٩.

الخبرة الحسية تظل مقولات العقل فارغة جوفاء بغير موضوع، كما أن مقولات العقل التى فيها تجد الخبرة الحسية شكلا وصياغة لكانت عمياء بغير معنى.(١)

وخلاصة القول فى إمكان المعرفة وحدودها هى أن العقليين والتجريبيين يرون إمكانها الى غير حد تقف عنده، وأما النقديون فيرون إمكانها بشرط أن تقف عند حدود الخبرة الإنسانية، وهنالك نفر قليل من الشكاك يرون استحالة أن يعرف الإنسان معرفة يقينية عن حقيقة العالم الذى يعيش فيه.

---

(١) نظرية المعرفة، د.زكى نجيب محمود، ص١١٦ وما بعدها.

الفصل الثالث

مبحث القيم

- تمهيد
- مفهوم القيم
- أنواع القيم
- طبيعة القيم
- تدرج القيم والخير الأقصى
- خصائص الخير الأقصى

مبحث القيم

تمهيد:

اهتم الفلاسفة اهتماماً كبيراً بموضوع القيم وأحتل هذا الموضوع جزءاً أساسياً فى كل فلسفة باعتباره ذات أهمية قصوى بالنسبة للحياة الانسانية، ويرجع البحث فى القيم أساسا الى نظرية المثل لأفلاطون والى آراء أرسطو وأبحاث الرواقية والأبيقورية كما ظهر فى الفلسفة المسيحية عند توما الأكوينى فى توحيده بين القيمة العليا والعلة الأولى، وقد تعمق البحث واتسع نطاقه فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، وكان ظهور مصطلح نظرية القيم (الأكسيولوجيا) فى البحوث الفلسفية فى العصر الحديث تعبيرا عن الاهتمام المتزايد بهذا الموضوع، ويقصد بهذا المصطلح البحث فى طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها، وقد أصبح بحث القيم بابا هاما من أبواب الفلسفة العامة، ويرتبط خاصة بعلوم المنطق والأخلاق والجمال.(١)

مفهوم القيمة:

قيمة الشئ فى اللغة: قدره، والقيمة مرادفة للثمن، ويستخدم هذا المفهوم عادة عند علماء الاقتصاد، ويقصد به قيمة الاستعمال، وقيمة التبادل، ويطلق اصطلاح قيمة الاستعمال على ما للشئ من نفع حقيقى (كالماء والهواء) لها قيمة كبيرة فى الاستعمال بينما قيمتهما ضئيلة فى التبادل.

أما اصطلاح قيمة التبادل فيطلق على ما للشئ من ثمن اعتبارى يسمح بتداوله بين الناس كالماس فهو بذاته غير نافع ولكن رغبة الناس فيه تجعل ثمنه غالياً، فهو له قيمة ضئيلة فى الاستعمال وكبيرة جداً فى التبادل.(٢)

---

(١) المعجم الفلسفى د.جميل صليبا، ص٢١٥.

(٢) المعجم الفلسفى ص٢١٢، دراسات ومذاهب د.عزيز نظمى ص١٠٠.

والاقتصاديون حين يتحدثون عادة عن القيمة يقصدون قيمة التبادل والقيمة بهذا المعنى يقصد بها السعر المقدر للسلعة التى يمكن بواسطته أن تتم عملية البيع والشراء، ومع ذلك يميز بين القيمة والسعر على أساس أن القيمة حقيقية بينما السعر اعتبارى بحسب التراضى بين المتبادلين للسلعة، ولهذا قد تكون القيمة أكبر أو أقل من السعر.(١)

ولكن استعمال هذا المفهوم لا يقتصر على المجال الاقتصادى الذى تعد القيمة فيه شيئاً مادياً، بل يستخدم كثيرا فى المجالات غير المادية للتعبير عن قيم أخرى معنوية مثل القيم الانسانية التى اصطلح الفلاسفة على تسميتها بالمثل العليا.

وقد حاول العديد من الفلاسفة تحديد مفهوم القيمة، فذهب بعضهم الى القول بأن قيمة الشئ هى "قدرته على إثارة الرغبة وأن القيمة تتناسب مع قوة الرغبة" جاعلا هذا التعريف شاملا لكل من القيم الاقتصادية والقيم المعنوية.(٢)

لكن قد يحدث أن يرغب المرء فى أمور ضئيلة القيمة، ويزهد فى أمور عالية القيمة، ولهذا لا يمكن تقدير القيمة بحسب شدة الرغبة أو ضعفها، فهناك عوامل أخرى تتدخل فى ذلك التقدير. لذلك ذهب بعض المفكرين الى القول بتعريفات أخرى للقيمة مثل "القيمة صفة الشئ المعتبر أنه قابل للرغبة فيه" أو "ما هو جدير بأن يطلب".(٣)

---

(١) الأخلاق النظرية د.عبد الرحمن بدوى ص٨٩.

(٢) مقدمة فى علم الأخلاق، د.محمود زقزوق ص١٣٦.

(٣) الأخلاق النظرية د. عبد الرحمن بدوى ص٩٠.

ويمكن بصفة عامة تعريف القيمة بالمعنى الفلسفى من جهتين:

١- من وجهة النظر الذاتية: وتعنى القيمة تلك الصفة التى يتصف بها موجود ما - سواء كان شخصا أو شيئاً - إذا ما كان هذا الموجود بالفعل مرادا أو مرغوبا أو مقدرا من إنسان أو جماعة معينة من الناس، أى إذا ما كان معترفا به بوصفه هدفا لرغبة المرء الخاصة، فالقيمة هنا تعنى درجة التقدير أو الرغبة لموجود ما.

٢- من وجهة النظر الموضوعية: القيمة هى ما فى الموجود نفسه - سواء كان شخصا أو شيئاً - من سبب تقديره تقديراً له مما يبرره، فالقيمة هى إذن هذا الذى يجعل من الممكن أن يصبح الموجود هدفا لإرادة صحيحة وليس فقط لرغبة فعلية.(١)

ولكن "ماكس شيلر" الفيلسوف الألمانى (١٨٧٤-١٩٢٨) يرفض تعريف القيمة معللا ذلك بأن القيمة موضوع لمعرفة مباشرة يدركها المرء كما هى فكما أننا لا نستطيع تعريف الصفة المحض لأنها تدرك كما هى دون وسيط كذلك القيمة لا تقبل التعريف بوصفها موضوعاً للمعرفة.

وهكذا لا تحتاج القيمة فى إدراكها الى شئ وسيط، فإدراكها يتم فى تجربة مباشرة، فالمرء لا يحتاج مثلا الى شئ وسيط ليدرك الجمال فى لوحة فنية، أو النبل فى موقف من المواقف، صحيح أن القيمة لابد أن توجد فى حامل يحملها مثل الجمال فى اللوحة والنبل فى النفس، ولكن تجربة القيمة - فى نظر شيلر - ليست هى تلك التجربة الحسية لحامل القيمة، لأن التجربة الخاصة بالقيمة تحتاج فى إدراكها الى تحليل للتجربة الحسية يؤدى الى تجاوز

---

(١) مقدمة فى الأخلاق د.محمود زقزوق ص١٣٦،١٣٧.

هذه التجربة نفسها مستخلصاً منها موضوعات فى ذاتها، ومستقلة عن تقلبات التجربة الحسية، فمن رؤيتى ذات يوم لرجل يندفع لانقاذ غريق أو لجندى يهاجم بجرأة، أو لكاتب يهاجم قراراً ظالماً - أقول إننى استخلص من كل هذه الأحوال معنى هو الشجاعة ولكن هذا المعنى غير الحسى وهو قيمة الشجاعة يتجرد عن كل الملابسات المكانية والزمانية.(١)

أنواع القيم:

يمكن تقسيم القيم الى نوعين أساسيين:

١- قيم نسبية وهى التى تقدر باعتبارها وسائل لتحقيق غايات كالمال مثلا - باعتباره وسيلة لتحقيق غاية -، ولهذا يختلف باختلاف حاجات الناس ومطالبهم وهذه القيم يطلق عليها اسم القيم الوسيلية أو القيم الخارجية.

٢- قيم مطلقة وهى التى تقدر باعتبارها غايات فى ذاتها أى ليست وسيلة لغاية كالسعادة فنحن لا ننشد السعادة من أجل شئ آخر غير السعادة فهى ليست وسيلة لأى شئ خارج عنها ويطلق على هذه القيم اسم القيم الكامنة أو القيم الذاتية.(٢)

وهذا النوع من القيم هو الذى يدخل فى نطاق البحث الفلسفى والمتفق عليه عند جمهور الفلاسفة والباحثين: أن القيم المطلقة ترجع الى ثلاث هى: الحق والخير والجمال باعتبارها غايات فى ذاتها لا وسائل لتحقيق غايات، وهى تشمل علوما ثلاثة معيارية تبحث فيما ينبغى أن يكون، لا فيما هو كائن بالفعل شأن العلوم الوضعية.

---

(١) الأخلاق النظرية د.عبد الرحمن بدوى ص٩١، مقدمة فى علم الأخلاق د.محمود زقزوق ص١٣٧.

(٢) اسس الفلسفة د.توفيق الطويل ص١٧٥.

هذه العلوم الثلا هى: علم المنطق، وعلم الأخلاق، وعلم الجمال.

فعلم المنطق: يبحث فى قيمة الحق، إذ أنـه يضـع القواعد التـى تعصـم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر، أى أنه يبحث فيما ينبغى أن يكـون عليـه التفكير السليم.

وعلم الأخلاق: يبحث فى قيمة الخير، لأنه علم بالفضائل وكيفية اقتنائهـا ليتحلى بها الانسان، وبالرذائل وكيفية توقيهـا ليتخلـى عنهـا، فهـو يضـع المثل العليا التى ينبغى أن يكون عليها سلوك الإنسان.

وعلم الجمال: يضع المسـتويات التـى يقـاس بهـا الشـئ الجميـل، أى أنـه يبحث فيما ينبغى أن يكون عليه الشئ الجميل.

__طبيعة القيم:__

اختلفت آراء الباحثين حول طبيعة القيم:

هل القيم لها وجود مستقل عن العقل الذى يدركها أم أنها من صنع العقل ذاته ؟

وهل القيم مطلقة أم نسبية ثابتة أم متغيرة ؟

ذهب الفلاسفة المثاليون العقليون الى أن القيـم صفـات عينيـه كامنـة فـى طبيعة الأقوال وذلك فى مجال المعرفة، أو فى طبيعة الأفعال وذلك فـى مجـال الأخلاق، أو فى طبيعة الأشياء وذلك فى مجال الفنون، ومـا دامت هذه الصفات كامنة فى طبيعة الأقوال أو الأفعـال أو الأشياء فهـى ثابتـة لا يطـرأ عليهـا أى تغيير بتغير الظروف والملابسات أو الزمان والمكان.

وعلى ذلك فهم يقررون وجود حق بالذات وخير بالذات وجمال بالذات وهذه أمور ثابتة لا تتغير.(١)

وتعتبر المثالية بأن التقييم متغير ويمكن أن يكون مختلفا، فما يعتبر هنا خيرا يمكن أن يعتبر فى مكان آخر شرا، ولكن المثالية تؤكد أن التقييم شئ مختلف اختلافا تماما عن القيم نفسها، فالتقييم متغير ونسبى، أما القيم نفسها فهى ثابتة وغير متغيرة، وهذا أمر واضح بذاته لا يحتاج الى برهان، ولا يطعن فى هذا الموقف وجود ناس ينكرون مثل هذه القيم الثابتة غير المتغيرة فكما يوجد هناك ناس مصابون بعمى الألوان، يوجد أيضا ناس مصابون بعمى القيم.

ونظرية القيم الثابتة غير المتغيرة ترجع فى وجودها الى أفلاطون، وقد تطورت هذه النظرية فى القرن الحالى على يد الفيلسوف الألمانى "ماكس شيلر".(٢)

وفى مقابل هذا الرأى ذهب الوضعيون وبوجه خاص الفلاسفة التجريبيون الانجليز الى القول بأن القيم أمور نسبية خالصة مردها الى الفرد، فهى صفات يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء، ولذلك تختلف باختلاف الزمان والمكان، والظروف والأحوال، وبهذا الاعتبار يمتنع وجود حق بالذات لأن الحق إنما يكون بالقياس الى تفكيرنا أو شعورنا، ومثل هذا تماما يقال فى الخير والجمال.(٣)

---

(١) أسس الفلسفة د.توفيق الطويل ص١٧٦، مقدمة فى علم الأخلاق ص١٣٩.

(٢) مدخل الى الفكر الفلسفى د.محمود زقزوق ص٨١.

(٣) أسس الفلسفة د.توفيق الطويل ص١٧٥.

ويفسر الو ...يون نسبية التقييم واختلافه من عصر الى عصر، ومن مجتمع الى مجتمع من خلال نسبية القيم نفسها وتغيرها، فالقيم عند أصحاب هذا المذهب ليست شيئا آخر غير ما يترسب فى التقييمات.

فالناس يتعودون على اتباع قيم معينة لأنها فى الغالب نافعة ومفيدة، فإذا حدث أن تغير الوضع وأصبح إتباع هذه القيم غير نافع وغير مفيد فإن القيم حينئذ تتغير.

ومن الطبيعى أن يذهب الوضعيون الى الزعم بأن القيم أمور واقعية، أى مواقف معينة للإنسان، وقد كان السوفسطائيون قديما هم الرواد الأوائل الذين وضعوا الأساس للنسبية الأخلاقية التى تنكر وجود أية معايير أخلاقية مطلقة.

وقد ذهب نيتشه أيضا الى القول بأن القيم من ابتداع البشر نشأت على أساس اعتبارات أخلاقية خاصة.(١)

ومما تقدم يتضح لنا أن رأى الوضعيين يقوم على الخلط بين التقييم والقيم، أى الخلط بين نظرتنا العقلية للقيم وانفعالاتنا بها وبين القيم ذاتها، والتقييم والقيم شيئان مختلفان تماماً.

وقد تصدى ماكس شيلر للقول بنسبية القيم مبينا أن القيم مطلقة، وغير قابلة للتغير، وأن ما يعتبر نسبيا هو مدى معرفتنا بهذه القيم فى حد ذاته، فالقيم يمكن أن تدرك بدرجة تقل أو تكثر، ويمكن أن تتمثل أو تصاغ فى شكل أو

---

(١) مقدمة فى علم الأخلاق ص٢٤، المشكلة الخلقية د.زكريا ابراهيم ص٧٦.

آخر، ولكنها تظل فى حد ذاتها مطلقه وثابتة، ومستقلة فى وجودها عن حواملها ولا تتغير صفاتها بتغير الأشياء وفى ذلك يقول:

"فكما أن الأزرق لا يصير أحمر إذا دهنا كرة زرقاء باللون الأحمر كذلك القيم ونظامها الترتيبى لا يؤثر تغيير حواملها من قيمتها فالغذاء يظل غذاء والسم سما، على الرغم من أن بعض الأجسام يمكن فى آن واحد أن تكون سامة بالنسبة الى هذا التركيب العضوى، ومغذية بالنسبة الى ذلك التريب العضوى الآخر، وقيمة الصداقة لا تهدر بسبب كون صديق معلوم قد تبين أنه صديق زائف وأنه خاننى".(١)

والحق أن القيم لها وجودها الخاص مستقلة تماماً عن تقييماتنا بدليل أننا نستطيع أن ندرك أن لهذا الشئ قيمة أعلى من ذلك الشئ، دون أن نعرف كليهما بالدقة والتفصيل، ذلك لأن القيم تفرض نفسها على كل وجدان بشرى بطريقة أولية حدسية، فالانسان يدرك القيم -كما يقول هارتمان- بنوع من الرؤية الباطنية، وهى رؤية وجدانية لا رؤية عقلية ذلك لأن وجود القيم غير متوقف على وجود حواملها، فإدراك القيم يتم بنوع من الوجدان أو العاطفة التى نستشعر فيها القيم وهذا يفسر كون القيم يدركها الطفل كما يدركها الرجل الناضج، ويدركها الجهال كما يدركها المثقفون من الخاصة".(٢)

وقد يعترض البعض على هذا الرأى بأن هناك بعض الناس لا يدركون القيم، أو لا يستطيعون التميز بينها، مما يدل على أنها ليست مبادئ موضوعية مطلقة، بل هى مجرد ظواهر ذاتية نسبية، ولكن من المؤكد أن

---

(١) الأخلاق النظرية د.عبد الرحمن بدوى ص٩٢.

(٢) الأخلاق النظرية د.عبد الرحمن بدوى، ص٩٢،٩٣.

المسئول عن عجز بعض الأشخاص عن إدراك القيم أو التمييز بينها إنما هو "العمى الخلقى" الذى قد يرجع الى انعدام النضج أو نقص التربية لديهم.

فالضعف الذى يتسم به بعض الأشخاص من حيث مدى إحساسهم بالقيم، إنما هو ظاهرة سيكولوجية لا يمكن أن تطعن فى "موضوعية القيم"، وكما أن بعض الأشخاص غير الموهوبين أو غير المدربين - رياضيا - قد يعجزون عن فهم أو إدارك بعض المبادئ الرياضية الأساسية، فإن بعض الأشخاص الذين لم يتلقوا القدر الكافى من التربية الأخلاقية، أو الثقافة السيكولوجية قد يعجزون كذلك عن التمييز بين القيم.

ومن هنا يمكن لنا أن نقول أن الإحساس بالقيم يسير جنبا الى جنب مع نضج "ملكة التمييز" لدى الفرد، ونمو القدرة على الفهم لدى البشرية.(١)

والخلاصة أن القيم نفسها لا تتغير، وإنما الذى يتغير هو إدراكنا لها أو نفاذ بصيرتنا اليها، وذلك لأن القيم موضوعية قائمة بذاتها وأما إدركنا لها فهو أشبه ما يكون بعملية ذهنية تتغير بتغير الزاوية التى نوجه منها أبصارنا الى تلك القيم، أما اذا تهيأ للمرء القسط اللازم من التربية الخلقية، فإن احساسه بالقيم لابد من أن يمكنه من إدراك المعايير الأخلاقية الأساسية وإدراك شامل للقيم.

---

(١) المشكلة الخلقية د.زكريا ابراهيم ص٧٦.

خصائص القيم الخلقية:

على ضوء ما تقدم يمكننا أن نتبين فى القيم الخلقية الخصائص الآتية:

١- أن لها وجوداً مستقلا عنا قائماً بذاته، مثل أى شئ فى العالم غير أنه وجود مثالى لا واقعى، وأنها لا تخضع لأية حدود زمانية أو مكانية، شأنها فى ذلك شأن القضايا الرياضية.

٢- تشتمل على نداء موجه الى ضمائرنا معبرا عنه بصيغة (ينبغى أن يكون) ومن هنا فإنها لا يمكن أن تنتزع من الواقع المعبر عنه بما هو كائن.

٣- أنها مطلقة وغير نسبية أو مشروطة بأى شرط، ولا تخضع لأية ظروف أو ملابسات أيا كانت.

٤- القيم تفرض نفسها على كل وجدان بشرى بطريقة أولية حدسية ذلك لأن وجودها غير متوقف على وجود حواملها لأنها قائمة بذاتها.(١)

تدرج القيم والخير الأقصى:

تتدرج القيم فى سلم متدرج ولابد لهذا السلم من أن تكون هناك فى قمته قيمة عليا، وقد اشتهرت هذه القيمة العليا بأنها الخير الأسمى أو الأقصى، ومن هنا يتوقف تحقيق الحياة الخيرة الى حد معين على تنظيم كل القيم الأخرى فى صلتها بهذا الخير الأخلاقى الأقصى.

---

(١) مقدمة فى علم الأخلاق، ص١٤١.

ويعتبر أفلاطون أول من وضع أصول فلسفة القيم وأول من تصور الخير فى ذاته أو الخير المطلق، فالخير هو القيمة التى تصدر عنها سائر القيم الأخرى (مثال المثل).

وأن الخير فى نظر أفلاطون هو علة وجود الأشياء ومبدأ معقوليتها، وكل تفسير للموجودات إنما يرجع الى الكشف عن الخير فيها، وهذا الخير فى الحقيقة هو الذى يبرر وجودها، وكل موجود لا يحقق خيرا يكون أقرب الى اللاموجود والعدم.

إن تصور أفلاطون للخير فى ذاته ولذاته هو تصور للخير الذى ليس خيراً لشخص معين أو لطبيعة متعينة ولكنه الخير بالنسبة لجميع الموجودات الممكنة ومصدر جميع الخيرات، وهو الخير الأسمى أو الأقصى.[١]

خصائص الخير الأقصى:

وهذا الخير الأقصى له شروط أو خصائص تبين لنا ما ينبغى أن يكون عليه هذا الخير الأقصى بوصفه أقصى خير، وأرفع هدف لحياة، وهذه الخصائص تتمثل فيما يلى:

١- ينبغى أن يكون خيرا كاملاً لاشك فيه، أى خيرا فى ذاته وليس وسيلة لغيره.

٢- ينبغى أن يكونه شاملا بحيث تندرج تحته كل أوجه نشاطنا بوصفها وسائل لتحقيقه.

٣- ينبغى أن يكون ممكن التحقيق، ولو بصورة جزئية، حتى يكون وثيق الصلة بالحياة البشرية، ويكفى أن يشعر الناس بإمكان تحقيقه بما يكفى

---

(١) دراسات ومذاهب د.عزيز نظمى، ص١٤٦ وما بعدها.

لتبرير تكريس الحياة من أجل بلوغ هذا الهدف، ومن ناحية أخرى ينبغى أن يكون من الممكن بناء خطة للحياة حول هذا الهدف الذى نجعله الخير الأقصى.(٢)

هذه فكرة عامة مجملة عن القيم عرضنا من خلالها آراء الفلاسفة فى مفهوم القيم وأنواعها والمذاهب المختلفة حول طبيعتها وغير ذلك من المسائل التى تتعلق بفلسفة القيم، أما فيما يتعلق بالبحث فى الفضائل الأخلاقية فهو مجال علم الأخلاق.

---

(٢) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها د.فؤاد زكريا، ص٢٧٥-٢٧٩.

المراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- المعجم الفلسفى — د. جميل صليبا

٣- معانى الفلسفة — د. أحمد فؤاد الأهوانى

٤- المدخل الى الفلسفة — ترجمة د.أحمد أمين

٥- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية — الشيخ مصطفى عبد الرازق

٦- تمهيد للفلسفة — د.محمود حمدى زقزوق

٧- نشأة الفكر الفلسفى عند اليونان — د.على سامى النشار

٨- أسس الفلسفة — د.توفيق الطويل

٩- تاريخ الفلسفة اليونانية — د.يوسف كرم

١٠- محاولات فلسفية — د.عثمان أمين

١١- الكندى وفلسفته — د.عبد الهادى أبو ريده

١٢- دروس فى تاريخ الفلسفة — د.ابراهيم مدكور

١٣- مقدمة فى الفلسفة العامة — د.يحيى هويدى

١٤- المدخل الى الفلسفة — ترجمة أبو العلا عفيفى

١٥- الفلسفة ومباحثها — د.محمد على أبو ريان

١٦- التفكير الفلسفى فى الإسلام — د.عبد الحليم محمود

١٧- مدخل الى الفلسفة — د.حسن عبد الحميد

١٨- مذكرات فى الفلسفة الشرقية — د.مصطفى حلمى

١٩- الفلسفة الشرقية — د.محمد غلاب

٢٠- قصة الفلسفة اليونانية — د.أحمد أمين

٢١- الديـــن — د.محمد عبد الله دراز

٢٢- مشكلة الفلسفة — د.زكريا ابراهيم

٢٣- مشكاة الأنوار — الإمام الغزالى

٢٤- المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت — د.محمود حمدى زقزوق

٢٥- قصة الفلسفة الحديثة — د.أحمد أمين

٢٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين — أبو الحسن الأشعرى

٢٧- التبصير فى الدين — الأسفراينى

٢٨- تاريخ المذاهب الإسلامية — الإمام محمد أبو زهرة

٢٩- تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام — د.محمد على أبو ريان

٣٠- ضحى الإسلام — د.أحمد أمين

٣١- الإسلام والحضارة العربية — د.محمد بيصار

٣٢- فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه — د.ابراهيم مدكور

٣٣- مدخل الى الميتافيزيقا — د.عزمى إسلام

٣٤- إحصاء العلوم — الفارابى

٣٥- النجـــاه — ابن سينا

٣٦- ما بعد الطبيعة — ابن رشد

٣٧- الفلسفة والحقيقة — الإمام الغزالى

٣٨- أضواء على الفلسفة اليونانية — د.صلاح عبد العليم

٣٩- نظرية المعرفة — د.زكى نجيب محمود

٤٠- الحياة الروحية فى الإسلام — د.مصطفى حلمى

٤١- إحياء علوم الدين — الإمام الغزالى

٤٢- المنقذ من الضلال — الإمام الغزالى

٤٣- ميزان العمل — الإمام الغزالى

٤٤- معيار العلم — الإمام الغزالى

٤٥- مبادئ الفلسفة لديكارت — د.عثمان أمين

٤٦- دراسات ومذاهب	د.عزيز نظمى سالم
٤٧- الأخلاق النظرية	د.عبد الرحمن بدوى
٤٨- مقدمة فى علم الأخلاق	د.محمود حمدى زقزوق
٤٩- مدخل الى الفكر الفلسفى	د.محمود حمدى زقزوق
٥٠- المشكلة الخلقية	د.زكريا ابراهيم
٥١- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها	د.فؤاد زكريا

الفهــرس



رقم الايداع بدار الكتب

٩٧/٣٠٢١

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977-5261-90-5

بتاريخ ٢٨/١/١٩٩٧م

طبع ونشر: مصر للخدمات العلمية

٧٣-شارع مصر والسودان-حدائق القبة